وزارة التعليم العالي و البحث العلـــمي

جـــــامعة محمد خيضر بسكـــــرة

كليـــة الآداب و اللغـــــــــات

قسم الآداب و اللغة العربية

الاستعطاف في شعر المعتمد بن عباد
دراسة فنية

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة: ميرة غضاب

إشراف الأستاذ: علي بخوش

السنة الجامعية: 1433- 1434 هـ

2012 - 2013

بسم الله الرحمان الرحيم

وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ

التوبة 105

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ سورة ابراهيم

الحمد لله ومن بعد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه هو وحده والحمد لله الذي أعاننا على انجاز هذا العمل و يسّر لنا سبل الإهتمام و يعود له الفضل الكامل لذلك.

إن العرفان بالجميل يحتم علينا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل " **علي بخوش**" على ما تقدم به من إرشادات ونصائح قيمة من خلال التوجيهات التي أمدني بها كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة "**شهيرة برباري**" التي تحملت مشقة قراءة هذا البحث و التعليق عليه حتى يخرج على أحسن وجه،كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة كلية الأدب العربي واللغات ، وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

آملين من الله عز وجل أن يكون مجهودنا في المستوى المطلوب الذي يرضي أساتذتنا.

مقدمة

الأندلس اسم حبيب ، ما ذكره عربي أو مسلم إلاّ فاضت نفسه حسرات على ضياع ذلك الفردوس المفقود الذي أضاعه التحاسد والتباغض وتفرق الكلمة وتقاتل الملوك والأمراء على متاع زائل ونعيم خلاّب انتهى بالبغضاء إلى سراب، كانت الأندلس منارة للحضارة و العلوم والفنون والآداب ، وأنجبت من العظماء أعيانا في كل باب من أبواب المعرفة، وأبدعت في الفنون آيات و روائع لا تزال باقية تطاول الزمن،وعلى الرغم من كثرة الأبحاث التي تناولت الأدب الأندلسي إلاّ أنه ما زال يزخر بجوانب غنية لم يتناولها أحد بالدراسة والتحليل ، كما أن الباحثين انصبوا في دراستهم على الشعر دون النثر ومع ذلك لم يحظ الشعر بعامة ، وشعر الاستعطاف بخاصة باهتمام هؤلاء – الباحثين– في عصر ملوك الطوائف وتحديدا عند "المعتمد بن عباد" ومن هنا كان لا بد أن نشبع هذه الشخصية بحثا ودراسة، ونكثف جهودنا لكي نكشف النقاب عن جوانب النشاط الأدبي، ومن هنا جاء اختياري للبحث في شعر الاستعطاف عند الشاعر الفذ "المعتمد بن عباد" كخطوة جديدة أحذوا فيها حذو الدارسين والباحثين،واستقر الرأي أن يكون عنوان البحث(الاستعطاف في شعر "المعتمد بن عباد" ، دراسة فنية) ، فمن يكون "المعتمد بن عباد" و كيف تجلى الاستعطاف في شعره ، وما الظواهر الفنية التي برزت في هذا الشعر؟ .

وانطلاقا من عنوان هذا البحث ومن هذه الإشكالية اهتديت إلى خطة قوامها ثلاثة فصول وخاتمة ،تعلق الفصل الأول والذي يحمل عنوان المصطلح والسيرة،تناولت فيه مفهوم الاستعطاف لغة واصطلاحا والتعريف بسيرة الشخصية الفذة "المعتمد بن عباد" والتعرف على أهم محطات حياته وثقافته، و فيما يخص الفصل الثاني والمعنون بتجليات الاستعطاف في شعر "المعتمد" ومزجه بالأغراض الشعرية الأخرى، تناولت فيه استعطاف "المعتمد" لوالده أولا حين هزم في أول معركة له واستعطافه "لابن تاشقين" ثانيا وكان هذا في منفاه وكيف مزج الاستعطاف بأغراض شعرية مثل المدح

والفخر والهجاء والوصف والرثاء ولقد ربط "المعتمد" الاستعطاف بهذه الأغراض ربطا وثيقا فكان لا تكاد تخلو أشعاره الاستعطافية من هاته الأغراض،وكان مدار الفصل الثالث الدراسة الفنية لشعر الاستعطاف عند "المعتمد" من ناحية اللغة الشعرية والأسلوب ، وكذلك الصورة الشعرية بجانبيها الصورة البيانية من تشبيه واستعارة ،والصورة البديعية من طباق وجناس وكان آخر عنصر في الفصل الثالث منصب على الموسيقى الشعرية بوجهيها الداخلي : من زحافات وعلل و تصريع وخارجي:من وزن وقافية ، لأخلص في نهاية المطاف إلى خاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، متبوعة بفهرس للمصادر و المراجع المعتمدة،وآخر للموضوعات.

واعتمدت في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي الذي أتاح لي فرصة الاطلاع على الحياة السياسية و الثقافية للشاعر"المعتمد بن عباد" وعلى المنهج الوصفي التحليلي والذي يقوم على التعمق في قراءة النصوص، وتحليلها ، وتفسيرها .

و أعانتني بعض المصادر و المراجع في هذه الدراسة كان أولها ديوان "المعتمد بن عباد"، من تحقيق " رضا حبيب السويسي"، و تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس لعمر فروخ ، و الأدب العربي في الأندلس "لعبد العزيز عتيق"، و الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة "لابن بسام" وعلم العروض و القوافي " لحميد آدم الثويني" .

إلاّ أنني ككل الدارسين والباحثين وقفت في مشواري العلمي صعوبات في جمع شتات الموضوع المتناثر في أمهات الكتب بطون المراجع، إلاّ أن البحث يستمد مشروعيته وجودته مما اكتنفه من صعوبات، فقد أعطتني شعاعا من الأمل ونوعا من المتعة بعد تذليلها الواحدة تلوى الأخرى.

وبعد فإن دراستي هذه تعد دراسة متواضعة و جهدا بسيطا في طريق طويل يحتاج لمزيد من البحث والدراسة، وكل ما أرجوه من هذه الدراسة أن أضئ بها مشعلا من مشاعل النور ينير طريق الباحثين، و يرشد من يسيرون فيه.

ولا بد من وقفة أتقدم فيها بالشكر الجزيل والامتنان العظيم إلى الأستاذ المشرف "علي بخوش"، الذي كان له فضل عظيم عليّ في تعميق معرفتي بالأندلس، تاريخها وأدبها ومنحني من وقته وعلمه ما أنار لي الطريق، و ذلّل أمامي الصعاب وأرشدتني إلى الصواب .

وأخيرا ، فلست أدعي الكمال لدراستي هذه, فالكمال لله وحده ، وإنما أنا بشر مجتهد أصيب وأخطئ، وللمجتهد أجران إن أصاب ، وأجر واحد إن أخطأ، الله أسأل أن أنال الأجرين ، وأن أكون ممّن يجتهد فيصيب، إنّه سميع مجيب.

الفصل الأول : المصطلح و السيرة

أولا : مفهوم الاستعطاف

1_ لغة

2_ اصطلاحا

ثانيا: التعريف بالمعتمد بن عباد

1_ مرحلة الطفولة والشباب

2_ مرحلة الإمارة

3_ مرحلة المنفى

ثالثا: الأغراض الشعرية عند المعتمد قبل المنفى و بعده

1_ شعره قبل المنفى

2_ شعره بعد المنفى

سنتناول في هذا الفصل مفهوم الاستعطاف الذي يعد كغيره من الألفاظ له مفهوم لغوي واصطلاحي، فمن الناحية اللغوية تطرق إليه أصحاب اللغة والمعاجم منهم "ابن منظور" و "ابن أحمد الفراهيدي" و "الفيروز آبادي"، ومن الناحية الاصطلاحية نجد "عبد العزيز عتيق" و "أحمد هيكل"، ويحتوي هذا الفصل على التعريف بالشخصية الفذة "المعتمد بن عباد"، والتعرف على أهم مراحل حياته من طفولة وشباب وإمارة ومنفى، مع ذكر أهم الأغراض الشعرية التي تناولها هذا الشاعر الكبير.

أولا: مفهوم الاستعطاف

1_ لغة:

إن الرجوع إلى جذر كلمة "الاستعطاف" فهو الفعل الثلاثي الصحيح "عطف" وتصريفه عطف يعطف عطفا ، و نجد له أكثر من معنى فهو يدل على إثناء وعياج مثل: «عطف الشئ: أماله وحناه »[1] ، وجاء في كتاب العين: « انعطف الشئ انعاج،انعطفت عليه انصرفت »[2]، « والرجل يعطف الوسادة يثنيها فيرتفقها »[3]، وفي القاموس المحيط «العطوف: الناقة تعطف على البوّ فترأمه »[4]، وجاء في معجم مقاييس اللغة "لابن فارس": « فلان يتعاطف في مشيته : إذا تمايل »[5].

---

[1]– المنجد الأبجدي، المؤسسة الوطنية، دار المشرق، ط8، بيروت، لبنان، 1967م، ص 704.

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1, 1424هـ/ 2003م ، المجلد الثالث ، ص 182.

[3]– ابن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ج1 ، ص 663.

[4]– فيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت, لبنان, ط5، 1996م، ص 1083.

[5]– أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان, ط 2, 2008م ، المجلد الثاني، ص 283.

كما يدل على الشفقة و الرحمة مثل و « عطفت عليه: أشفق »[1] ، « وعطف الله قلبه وبقلبه: جعله رحيما »[2]، وجاء في لسان العرب « رجل عطوف وعطّاف : يحمي المنهزمين،و عطف عليه يعطف عطفا: رجع عليه بما يكره أو له بما يريد »[3] « والعطّاف: الرجل العطيف على غيره بفضله، الحسن الخلق البارّ اللّيّن الجانب »[4] «واستعطفه: سأل أن يعطف عليه »[5] ، « وتعاطفوا أي عطف بعضهم على بعض»[6].

وقد وردت كلمة (عطف) مرة واحدة في القرآن الكريم، بقوله تعالى﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ﴾[7] «أي: لاوِيَ جانبه، وعنقه »[8].

أما في الأحاديث النبوية الشريفة فقد وردت في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **خلق الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض، مائة رحمة، فجعل في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والبهائم بعضها على بعض والطير، وأخر تسعا وتسعين إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة، أكملها الله بهذه الرحمة** »[9].

وردت هذه الكلمة بمعنى الشفقة والرحمة والحنان الذي تكّنه الوالدة لولدها.

---

[1]– فيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1083.

[2]– المنجد الأبجدي: ص 704.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، المجلد الرابع، مادة عطف، ص 366.

[4]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص 182.

[5]– فيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1083.

[6]– ابن منظور، لسان العرب، ص 366.

[7]– الحج، 9.

[8]– عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان, ط1، 1999م، ص 584.

[9]– محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، د ط، د ت، ج2، ص 1435.

2_ اصطلاحا:

لا نجد تعريفا واضحا لشعر الاستعطاف في المصادر القديمة ، و لا في المراجع الحديثة، ولكن نستطيع القول: إنه ذلك الشعر الذي يبثه الشاعر إلى شخص ما لاستمالة قلبه، آملا بعفوه عليه وتخليصه من الحرمان الذي يعانيه فقد قرنه الدكتور"عبد العزيز عتيق" بالاعتذار حيث قال : « فن قديم من فنون الشعر العربي، ويقال له الاعتذار»[1]،والشعر الذي قيل في الاعتذار يدخل ضمن الاستعطاف، والعكس غير صحيح, فالشاعر المعتذر يدرك أن من يخاطبه ويعتذر إليه لن يقبل عذره ولن يعفو عنه إلاّ بعدما يعطف عليه ويرحمه، أما الاستعطاف فليس بالضرورة أن يسبقه اعتذار، ذلك لأننا نقرأ أشعارا استعطافية كثيرة تخلو تماما من الاعتذار، وكأن الشاعر أراد أن يتناسى الجرم الذي رمي إليه زورا أو الذنب الذي اقترفه، كما أن هناك ضروبا من الاستعطاف لا تحتاج إلا اعتذار، كالفقير الذي يستعطف الغني أملا بالحصول على أعطياته.

« و قد عدّ الاستعطاف غرضا من أغراض الشعر »[2]، و المستعطَفون قد أثر في معظمهم شعر الاستعطاف وما رافقه من اعتذار وشكوى تأثيرا جعلهم يقبلون عذر الشاعر المستعطِف، يعطفون عليه، يعفون عنه، و العفو عن المذنب يدل على سعة صدر،وحسن سياسة.

ولكن أحيانا نجد في بعض الأحيان بعضا من هؤلاء المستعطَفين يردّون الشعراء الذين استعطفوهم خائبين، ويصرون على عدم العفو عنهم، وإلحاق العقاب بهم، إما لأن هؤلاء الشعراء ارتكبوا معصية دينية توجب حدا وعندها لا يجدي استعطاف و لا اعتذار، وإما لأن إساءتهم للحاكم كانت عظيمة، بحيث صعُب عليه غفرانها والصفح عنها، أو لأن

[1]– عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ط1، 1976م، ص 230.

[2]– حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 801.

الحاكم أدرك أن هذا الشاعر مرغم على استعطافه و الاعتذار إليه، لأنه وقع في قبضته ولو قدّر له أن يفلت منها لعاد إلى ما كان عليه من ذنب وإساءة.

« والمتتبع لتاريخ هذا الفن يرى أنه لم يخل أي عصر من عصور الأدب العربي من شاعر أو أكثر نظموا الشعر استعطافا أو اعتذارا عما تورطوا فيه من إساءة كالهجاء مثلا أو مما نسب إليهم زورا وبهتانا بحق ملك أو ذي سلطان، بباعث الوشاية أو الغيرة أو الحسد أو ما شابه ذلك» [1].

ولكنه ازداد زيادة ملحوظة في العصر الأندلسي و لا سيما في عصر ملوك الطوائف، «وقد كان الاستعطاف نتيجة لطبيعة وجود كثير من الضحايا السياسيين في تلك الفترة »[2].

ومن بين الشعراء المستعطفين في هذه الفترة نجد "ابن عمار"*، "ابن زيدون"**، "ابن اللبّانة"***، و "المعتمد بن عباد" الذي نحن بصدد دراسته.

---

[1]– عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 230.

[2]– أحمد هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة، مصر ، ط 14، د ت، ص 281.

* هو محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري نسبة إلى مهرة وهي قبيلة عربية من قضاعة ، ولد عام 1031م، تعلم الأدب واللغة العربية في شلب، ثم انتقل ابن عمار إلى قرطبة لطلب العلم ، ثم قصد اشبيلية عاصمة بني عباد حماة الشعر و متذوقيه، كان شاعر وصديق المعتمد بن عباد لكنه في الأخير خانه فقتل على يد المعتمد.

** أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد المعروف بابن زيدون (1003م– 1071 م) شاعر أندلسي، برع في الشعر كما برع في فنون النثر، حتى صار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين، كما تميزت كتاباته النثرية بالجودة و البلاغة ، وتعد رسائله من عيون الأدب العربي.

***هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الدّاني، مولده وطفولته لم يعرف عنهما شئ سوى أنه كان يتيما ومن عائلة معدمة، وكانت أمه تبيع اللبن لتعيله، اتخذ من الكلمة حرفة ، وقد دفعه إلى التكسب بالشعر حاجته المادية ، ترك مدينته دانية متوجها إلى إشبيلية وهناك شق دربه وسط الشعراء وبعد زوال الدولة العبادية استقر ميروقة عند حاكمها حتى وافاه أجله المحتوم سنة 507هـ.

ثانيا: التعريف بالمعتمد بن عباد:

بعد تعريف الاستعطاف من الناحية اللغوية و الاصطلاحية ، حيث عرفه الكثير من الشعراء منهم شاعرنا "المعتمد بن عباد"، وهو « المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبو عمرو عبّاد بن الظافر المؤيد بالله أبو القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم،اللخمي، من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة »[1]، « ولد في ربيع الأول من سنة 432هـ (كانون الأول 1040م) قي مدينة باجة قرب إشبيلية »[2]، و يمكن تقسيم حياة "المعتمد بن عباد" إلى ثلاث مراحل: مرحلة الطفولة والشباب ، ومرحلة الإمارة، ومرحلة المنفى.

1_ مرحلة الطفولة والشباب:

حظي المعتمد بن عباد بما يحظى به أبناء الملوك والأمراء « غادر إشبيلية في سن مبكرة ، إذ إنه ما كاد يبلغ ثلاث عشرة سنة حتى عينه والده وليّا على شلب »[3]،في أقصى الجنوب الغربي من الأندلس، « وبعث معه الشاعر "أبا بكر بن عمّار" نديما ووزيرا،وكان ابن عمّار أسّن من المعتمد بتسع سنوات ومكث المعتمد في شلب خمس سنوات أو تزيد قليلا »[4]،« وكان ابن عمّار شابا مثله وفيه مجون مع فقر وحرمان فأغواه وأغراه بالخمر والمجون»[5] ، « و كان رجلا مغامرا ومن أصل وضيع جدا لا يملك ما يسد

---

[1]– أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، لبنان، د ط، د ت، المجلد الخامس, ص 21.

[2]– عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس ، دار العلم للملايين،د ب، ط2, 1984م،ج4، ص 714.

[3]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، منشورات زرياب، الجزائر، د ط، 1993م ,ص 38.

[4]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 713,

[5]– عيسى خليل محسن, أمراء الشعر الأندلسي, دار جرير, ط1, عمان, الأردن, 1428هـ, 2007م, ص 213.

به رمقه فرأى أن يتخذ الشعر وسيلة للعيش فنظم القصائد في مدح هذا أو ذاك متجولا بها من بلاط إلى بلاط لعله ينال لدى الأقوياء ما يساعدوه على تحسين وضعيته الاجتماعية وقد شاء القدر أن يوفق في سعيه يوم مدح المعتضد بالله الأمير القوي فاستماله وأثر عليه»[1] ، وقد مدحه في عدة قصائد منها مطلع هذه القصيدة : (الكامل)

أَدِرِ الزُجَاجَـةَ فَالنَسِيمُ قَدِ انْبَــرَى وَ النَجْمُ قَدْ صَرَفَ العِنَانَ عَنِ السُّرَى

وَ الصُبْحُ قَدْ أهْوَى لنَــا كَافُـورَهُ لَمَّــا اسْتَــرَد اللَيْــلَ مِنَّا العَنْبَــرَا

وَ الرَوْضُ كَالحَسَنَا كَسَاهُ زَهْــرَهُ وَشْيًــا، وَقَلَــدَهُ نِــدَاهُ جَــوْهَرَا

أَوْ كَالغُلاَمِ زَهَــا بِوَرْدِ رِياضِــهِ حَجــلاً، وَتَــاهَ بَــآسَهُنَ معَــدَّرَا[2]

ثم تعرف "المعتمد"، عليه فلازمه بشلب لما وجده في صحبة هذا الشاعر من نظم رائق وموسيقى عذبة إلى جانب ميوله إلى تعاطي الملاذ بمختلف أنواعها، « فكان الرفيقان يقضيان أوقاتهما في مجالس الأنس داخل القصور الفاخرة بين الجواري والغلمان والمطربين والمطربات ، والراقصين والراقصات وكؤوس الخمر المترعة كؤوس يديرها الساقون والساقيات عليهما وعلى الندماء الحاضرين »[3]، « وترامت إلى أبيه أنباء لهوه فاستدعاه إلى إشبيلية وكان في العشرين من عمره وأخذ يدربه على الحكم »[4]،« فعينه ولي عهده خلفا لأخيه بعدما قتل "المعتضد" ابنه "اسماعيل" والذي كان حاجبا لأبيه فاستقدم "المعتمد" من شلب و ولاّه مكان أخيه حاجبا »[5].

---

[1]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،ص 38.

[2]– مصطفى الغديري، شعر محمد بن عمار الأندلسي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،جامعة محمد الأول، وجدة ، المغرب، 2001م، ص 65.

[3]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 38, 39.

[4]– عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي، ص 213.

[5]– المعتمد بن عباد ، الديوان، جمع و تحقيق : رضا الجيب السويس ، الدار التونسية للنشر ، تونس، دط، دت، 1975م، ص 7.

و في هذه المرحلة فقد « تزوج "باعتماد الرميكية" في ظروف غير عادية "فالمعتمد" في دوره الجديد باشبيلية وفي جوار أبيه لم يغير سلوكه في الحياة وسرعان ما التحق به "ابن عمار" الصديق الحميم فاستمر الخليلان على ما تعودا عليه في مدينة شلب »[1] ، وفي أثناء ذلك تم اللقاء بين "المعتمد" و"اعتماد" حيث كان "المعتمد" يتنزّه مع "ابن عمار" على ضفاف نهر الوادي المتمّوج فقال "ابن عباد" "لابن عمار":

صَنَعَ الرِّيحُ عَلَى المَاءِ زَ رَدْ .....

وطلب من ابن عمار أن يجيزه*، فتوقف ابن عمار قليلا، وكان على شاطئ النهر جوار يمْلَأْنَ المَاءَ فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَ:

..... أَيُّ دِرْعٍ لِلْقِتَالِ لَوْ جَمَدْ !

« فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار و نظر إليها فإذا هي في صورة حسنة فسألها أذات زوج ! فقالت : لا، فتزوجها »[2]، و كانت "اعتماد" « جارية الرميك ""بن الحجاج" فاشتراها من سيدها ولم يرض "المعتضد" على هذا الزواج في أول الأمر ولكن لمّا ولدت "الرميكية" "للمعتمد" بكره الأول عبادّا، بعث "المعتمد" بالطفل و أمه إلى أبيه "المعتضد"، و رأى "المعتضد" حفيده فامتلأ حنوّا وعاد إلى رضاه »[3].

وبعد الرضى عنه انشغل والده بتكوين ولي العهد الذي سيخلفه يوما على عرش إشبيلية والمرغوب فيه أن يكون في المستوى في شّتى المجالات فبدأ « بتعيين ابنه على رأس جيش يتدرب على قيادة حملة عسكرية وكانت الحملة هذه المرة ضد مالقة تلبية لاستنجاد العرب القائمين بها بالأمير الاشبيلي ليخلصهم من جور وعدوان الأمير البربري

[1]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،ص 39.

*الإجازة وهي تعاون شاعرين على عمارة بيت أو أبيات من الشعر يقول الأول صدره، و الثاني عجزه و لا يغلب عليها طابع التحدي

[2]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 39.

[3]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 714.

"باديس بن حبوس"* وكان المتوقع الانتصار الأكيد نظرا لتفوق الجيش العبادي عدة وعددا، وبالفعل فلم يواجه "المعتمد" أي صمود ودخل مالقة بكل سهولة ولكن عوض أن يثبت انتصاره باتخاذ الإجراءات اللازمة »[1]، سار إليها في نشوة الشراب و اللهو و المرح فلم يجد إلا الصدّ و الهزيمة.

« وعند إدراكه لخطورة الوضع وما سيلقاه من أبيه ارتأى ألاّ يعود إلى إشبيلية حتى يتقي شر أبيه الذي كان في غضب شديد إثر ما بلغه عن سلوك ابنه، ومن المعروف أن عواقب غضب "المعتضد" وخيمة لا محالة، وهكذا فضّل "المعتمد" أن يلتجئ إلى مدينة رندة مدة من الزمان ليفكر في أنجح الوسائل التي من شأنها أن تأتي بوالده إلى العفو عنه فرأى أن ينظم قصيدة شعرية في هذا الموضوع ضمنها كل ما يبرر ما جرى له من عدم خبرة و سوء سلوك ، ومع الوعد بأنه سيتعرض في المستقبل إلى مهامه بكل جدية حتى يكون في المستوى المطلوب »[2].

وقد نظمها و استمال بها قلب والده وبالفعل خففت هذه القصيدة من حدة غضب "المعتضد" لأنه رأى في ابنه الولد الشاعر والشجاع وسمح له بالعودة إلى إشبيلية، وارتأى "المعتضد" أن يبعد الشاعر ابن عمار عن ابنه معتبرا إياه مسؤولا عن سيرة ابنه و ولي عهده وذلك لمدى تأثيره عليه للخوض به في المغامرات المتوالية التي أدت إلى إهمال مهامه فنفاه عن إشبيلية نهائيا وقرر أن « يبعد عنه اعتماد الزوجة المحبوبة المفضلة التي سلبت عقل ابنه فألهته عن القيام بدوره ، ولكن لمّا وقف "المعتضد" في بابها لطردها قدمت إليه حفيده وهو رضيع بين يديها وكان يحمل اسمه فرقّ "المعتضد" لهذا المنظر فولى عن عاقبيه متخليا عما كان قد نواه ، وهكذا نجت "اعتماد" من المنفى وبقيت في

[1]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 40

* هو باديس بن حابوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي ، تولى حكم غرناطة بعد وفاة أبيه حبوس سنة 428هـ، أقوى ملوك الأندلس وأعظمهم شأنا في تلك الفترة، توفي سنة 465هـ بعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة.

[2]–المرجع نفسه، ص 40.

بيتها مع زوجها ،أمّا المعتمد فقد استخلص مما حدث له عبرة ووفى بوعده وهو ألّا يثير غضب والده مرّة أخرى فغيّر سيرته وأبدى الجدية في القيام بأعماله وتهيأ لتسيير الإمارة عند الأوان »[1] ، ولما توفي "المعتضد" في سنة 461 هـ / 1069م خلفه ابنه "المعتمد" .

إن "المعتمد" في مرحلة شبابه شابا لا زال لا يعي مسؤولية قيادة دولة كان لا يهمه سوى اللهو والمرح في مجالس الشراب بين الجواري والغلمان ، وبما أن اختيار "المعتمد" لشريكة حياته كان بصورة عفوية إلاّ أنه كان موفقا فيه تماما فقد وجد فيها الزوجة المثالية التي أحبها وظّل وفيا لها حتى وفاته.

ومن الجانب السياسي له كانت البداية في معركته الأولى فاشلة إلا أنها بصّرته بأمور الحرب وأعطته درسا قاسيا استفاد منه في معاركه التالية و وسع سلطانه و أنشأ بإشبيلية قصورا تزخر بالترف وتغرق في الجنات والأشجار والأزهار بعد توليه الحكم.

2_ مرحلة الإمارة:

بعد وفاة من كان يخافه ويخشاه « عاد "المعتمد" مسرعا إلى عوائده الأولى المتمثلة في الانغماس في الشهوات وإدمان الخمور، وذلك –بطبيعة الحال– برفقة المتواطئ معه خليله "ابن عمار" الشاعر الذي كان يتضرم في المنفى في انتظار هذه الساعة حيث استدعاه إلى بلاطه فوجد "ابن عمار" من جديد مرتبته المرموقة بإشبيلية في جوار المعتمد فعاد الخليلان كأنه لم يحدث شيء »[2]، وكان "المعتمد" مولعا بالخمر والنساء ومن بينهن زوجته "اعتماد الرميكية" التي حظيت بقلب "المعتمد" مكانا كبيرا .

وقد روي يوما في نحو سنة 474هـ/ 1070م أنه رأى امرأته تنظر من نافذة القصر إلى شاطئ النهر فسألها عما استأثر انتباهها فأشارت إلى جوار كنّ يملأن ماء من النهر وهن

[1]– المرجع السابق، ص 41.

[2]– المرجع نفسه، ص 42.

حافيات يغصن في الطين وقالت إنها تذكرت أيامها الأولى يوم كانت مثلهن فجاء "المعتمد" بماء الورد والسكر ثم أمر بجبلها وجعلها في باحة القصر وأخذت الرميكية وبناتها الصغيرات يسرن حافيات في هذا المزيج المترف على أنه طين، وذات يوم بعد ذلك قالت لزوجها: لم أر منك يوما صالحا، فقال لها: ولا يوم الطين [1]!.

وهذا دليل على مدى حرص "المعتمد" على إرضاء زوجته في كل شئ، وأدركت "اعتماد" خطأها في زلة لسانها فاستحيت واعتذرت من زوجها.

« وكان ابن عباد شاعرا عبقريا ينظم الشعر، وقد حاول أن يجعل حياته كلها قصيدة من قصائد الشعر المترف وأن يجعل بلاطه موئل الشعراء »[2]، وكانت حضرته «مسرحا لآمال طلاب المعروف، و لواؤه جامعا لمشاهير الفرسان ، ولياليه مجالس زاهرة باللهو والشراب ومطارحة الأدباء والشعراء »[3]، « إذ كان يعقد للأدباء ندوة في يوم الإثنين الإثنين من كل أسبوع بدار مخصصة لا يدخل إليه فيها غير الشعراء ، وبلغ في حبه للشعر أنه كان لا يستوزر إلّا الشعراء فصارت إشبيلية في عهده مركز القوة وعش الأدب »[4].

أما هؤلاء الأدباء والشعراء قد مدحوه في تعداد مناقبه وصفاته ورثاه كثيرون منهم بعد موته، وكان أكثر الأمراء سخاء في تقديم الجوائز والرسوم لمادحيه، و للمعتمد« شيم تنم عن مكارم الحسب الأصيل، ودماثة الأخلاق التي أقّر له بها العدو قبل الصديق »[5]

[1]– ينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 715.

[2]– حنّا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، لبنان ط3، 2003م، المجلد الثالث، ص 221.

[3]– عيسى خليل محسن،أمراء الشعر الأندلسي، ص 213.

[4]– شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 222.

[5]– عبد الله حمادي، أندلسيات، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،د ط، 2004م، ص 16.

وكان يتميز بالعفو، الإحسان ، الصبر ، الشجاعة ، الفروسية والكرم،وقد مدحه الكثير من الشعراء من بينهم "ابن اللبانة" و"ابن زيدون" .

يمدحه " ابن زيدون" وقد كان من الأوفياء له و لوالده "المعتضد" قائلا:

أَيُّهَا الظَّافِرُ، لاَ زِلْتَ مَدَى الدُّنْيَا مُظْفَّرِ

أنْتَ أَسْنَى ابْنٍ لِأَسْمَى وَالِدٌ فِي الدَّهْرِ، فَافْخَرِ [1]

"فالمعتمد بن عباد" كان صورة للشاعر والفارس الشجاع والمقدام والصبور على المحن والمصائب، والشهم الذي كان يقف موقف الرجل وقت المحن.

«وكان "المعتمد" في نظر مواطنيه باشبيلية و بالإمارات الأخرى يمثل –على حد تعبير بيرس –الأمير النموذجي الأندلسي بثقافته وقوته وكانت الأنظار كلها مصوبة نحوه لأنه كان ربما الوحيد الذي في وسعه أن يحقق الوحدة الأندلسية »[2]، وكان شجاعا مقداما «سمت به نفسه إلى تملك قرطبة عاصمة البلاد في زمن الأمويين، فدخلت في أمره وعظم بها ملكه فجعل عليها ابنه "سراج الملك عباد"، وكان "المأمون" ذي النون أمير طليطلة يطمع في قرطبة فعقد حلفا مع صديقه "ألفونس السادس" ملك ليون وقشتالة،فأصبح في وسعه أن ينتقم من عدوه ابن عباد ويستولي على قرطبة، فوجّه إليها جيشا من طليطلة فدخلها على حين غرة ثم تحول إلى الزهراء يريد امتلاكها فتصدى له "سراج الملك عباد" لكنه سقط صريعا في المعمعة وانهزم الحرس وتم النصر "للمأمون"»[3].

---

*هو عبد الجبّار بن أبي بكر بن حمديس(447هـ– 527هـ) ولد في صقلية ثم هجرها متجها لاشبيلية فاتصل بالمعتمد بن عباد وكان من المنتمين في بلاطه وجعل له المعتمد رسما شهريا لحسن قول الشعر عنده ولمدحه للمعتمد وكان من المحظوظين بسخائه.

[1]– ابن زيدون، الديوان، شرح و تحقيق: حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 317.

[2]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 44.

[3]– بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس و عصر الانبعاث، دار نظير عبود ، دب، دط، دت، ص 147.

« و لكن طمع المعتمد زين له أن يحالف "ألفونسو" ملك قشتالة على بني ذي النون،وشجعه على أن يحارب طليطلة ، وتعهد له أن يساعده بالمال وكان نائبه في المفاوضة وزيره "ابن عمار" »[1] – الذي كان يتميز بمهارة عالية في المفاوضات والتوصل إلى اتفاقيات ترضي الجميع–.

وكانت هذه زلة هوت به إلى الهلاك ،إذ استولى "ألفونسو" على طليطلة سنة 478هـ – وكان في وقت مبكر جدا – فسقطت الإمارة القوية بالأندلس وامتلك الإسبان أمنع حصون المسلمين هناك ، ولم يلبث المعتمد أن أدرك عاقبة زلته فغضب على وزيره ابن عمار،لأن "ألفونسو" مدّ فتوحه من طليطلة إلى ما جاورها ، ولم يلبث أن طلب من المعتمد التنازل عن المدن والحصون التي كانت تابعة لطليطلة فلما رفض "المعتمد" أعلن "ألفونسو" عليه الحرب[2].

ويعد سقوط طليطلة ، التي أطلق عليها اسم قشتالة الجديدة ، كارثة كبرى على المسلمين لأنها شطرت الأندلس إلى قسمين، « وجعلت ألفونسو السادس يتخذ اللقب اللاتيني (Imprateur totious hispania) أي الإمبراطور على جميع إسبانيا، كما اتخذ اللقب العربي (أمير الملتين) والمقصود الملتين الإسلامية والمسيحية ».[3]

حينها اتخذ ملوك الطوائف لدرء الخطر المحدق بهم، واتفقوا على أن يستنجدوا بإخوانهم المسلمين في إفريقية فاستعانوا "بيوسف بن تاشفين" أمير المرابطين فعبر البحر إليهم بجيشه، و قاتلوا ألفونسو جميعا و انتصروا عليه في موقعة الزّلاقة سنة 479هـ/ 1086م،« وبعد أن عاد "يوسف بن تاشفين" إلى المغرب بلاده استجمع قواه وتأهب لتحقيق ما كان قد نواه فعاد إلى الأندلس ثانية سنة 481هـ/ 1088م لمساعدة "المعتمد"

[1]– شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص 222.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 222.

[3]– عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العرب المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 237.

على محاصرة حصن(ليط) ثم عاد إلى المغرب ومنه أعدّ غزوة 484هـ/ 1090م فسقطت الجزيرة الخضراء في حوزته ثم توجه جيشه نحو الشمال الغربي فاغتصب قرطبة وقتل واليها المأمون بن المعتمد بها سنة 484هـ/ 1090م، وفي نفس السنة حاصر إشبيلية ثم فتحها عنوة وأمر بفي المعتمد وأهله ، ثم حاصر رندة في نفس التاريخ وتغلب عليها وقتل واليها "الراضي" بن "المعتمد" بعد أن أمّنوه على حياته »[1]، و قرر الأمير المرابطي « نفيه فنفى أمر الأول إلى طنجة ثم إلى مكناس لينتهي إلى أغمات قرية بجنوب المغرب قرب مراكش العاصمة و مرفوقا ببناته وباعتماد زوجته المحبوبة »[2].

وكانت نهاية "المعتمد بن عباد" مأسوية، «عندما كبله المرابطون بالحديد ونقلته السفينة مع أهله إلى المغرب حيث ألقي بهم في سجن أغمات »[3] ، وعوملوا معاملة قاسية، «وكان عزاء "المعتمد" الوحيد داخل السجن قصائد الشعر إلى أن توفي يوم الأحد 11 شوال 488هـ/14 تشرين الأول 1095م ».[4]

« ولقد كان "المعتمد" هذا يشبه بهارون الواثق بالله من ملوك بني العباس ذكاء نفس وغزارة أدب، وكان شعره كأنه الحلل المنشرة، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصرا من العلوم على علم الأدب وما يتعلق به وينضم إليه، وكان فيه مع هذا من الفضائل الذاتية ما لا يحصى، كالشجاعة والسخاء والحياء والنزاهة إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشريفة، وفي الجملة فلا أعلم خصلة يحمد

[1]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 8، 9.

[2]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 45.

[3]– أبو عباس احمد بن خالد الناصري، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء،د ط، 1954م، ج1، ص 51.

[4]– عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 247.

في رجل إلاّ وقد وهبه الله منها أوفر قسم وضرب له فيها بأوفى سهم وإن عدت حسنات الأندلس من لدن فتحها إلى هذا الوقت "فالمعتمد" هذا أحدها، بل أكبرها»[1].

لقد كان من دوافع نفي ملوك الطوائف على يد الأمير المرابطي "يوسف بن تاشفين" لما رأى منهم من تناحر وتنافر لأجل قطعة أرض أو الإستيلاء على مملكة وحتى الإخوة كانوا مثل الضرائر وكانوا قد أساؤوا الظن به حتى جاهره البعض بالعصيان مثل ما فعل "المعتمد" ووصل بهم الوضع أن تحالفوا مع النصارى ضده ، وعليه تركهم على هذا الحال يعني سقوط البلاد بأكملها على يد النصارى بانتهازهم هذه الفرص الذهبية لا تعوض، وسقوط هذه البلاد يعني سقوط خط الدفاع للجانب الشمالي للمغرب وتهديد السواحل الغربية للبلاد، هذا ما أدى "بيوسف بن تاشفين" بخلعهم جميعا دون استثناء ومحاصرة العدو بعد استشارته لفقهاء الأندلس الكبار، الذين أفتوا له بذلك لما رأوا منهم من اضطهاد للشعب، وجعل الأندلس ولاية تابعة لحكمه في المغرب وكانت لهذا النتيجة المأساوية صدى كبير على هؤلاء ومنهم شاعرنا "ابن عباد" الذي انقلبت حياته رأسا على عقب وانتقل من العز إلى الذل.

3- مرحلة المنفى:

كان "ابن عباد" شاعر الترف والرخاء قبل أسره ، وشاعر الألم والذكرى بعده،«وكانت آلام "ابن عباد" شديدة الوطأة على نفسه وقد أنزلته من برجه العالي إلى حقيقة الحياة ومرغت قلبه بتراب الوجود فبكى بعد غيبوبة النشوة وتململ على فراش الحزن بعد لين المسرة و جر قيده ذليلا بعد أن كان على رأسه تاج الملك، وأبصر بناته يمشين حافيات على قسوة الأرض بعد أن مشين على المسك والكافور ويغزلن الناس للحصول

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق: محمد زينهم محمد غرب ، دار الفرجاني، دب ،دط، دت، ص 93.

على لقمة العيش، وفقد زوجه و ولديه وتشتت حوله شمل الأصحاب بعد أن كان نقطة الدائرة ومحط الآمال والأبصار »[1] .

حيث كان في أسره فقيرا معذبا وساءت حالته حتى أصبح في عيشه ضنك، حيث ثقلت عليه القيود وضاق عليه الحال، وأصبح كل شئ يذكره بالماضي، إلى أن « توفي بأغمات في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بعدما تقدمت وفاتَه وفاة الحرة "اعتماد" وجزع عليها جزعا قرب سرعة لحاقه بها ».[2]

« وقد كان أول من رثى نفسه وهو لم يصنع هذا الرثاء على طريقة من يئسوا من حياتهم لمرض عضال أو أمل ضائع مثلما صنع "ابن شهيد" وغيره، وكان يرثي ملكه ويبكي دولته».[3]

و قد زاره بعض الأوفياء من الشعراء الذين عرفوا قدره واعترفوا بفضله وكرمه ومن بينهم صديقه الوفي "ابن اللبانة" حيث بقول:

لِكُلِ شَيءٍ مِـــنَ الأَشْيَـــاءِ مِيقَاتُ وَلِلْمُـــنَى مِنْ مَنَائِيهِنَ مِنْ غَايَاتُ

وَالدَّهْرُ فِي صبْغَة الحِربَاء مُنْغَمِسُ أَلْـــوَان حَالَاتِهِ فِيـهَا اسْتِحَالَاتُ

وَنَحْنُ فِي لُعبِ الشِطْرَنجِ فِي يَدِهِ وَرُبَمـا قُمِـرَت بالبَيْـدَقِ الشَـاةُ

فَانْفُضْ يَدَكَ مِنَ الدُنْيَا وَسَاكِنِـهَا فَالأَرْضُ قَد أَقْفَرَت وَالنَاسُ قَدْ مَاتُوا[4]

---

[1]– حنّا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص 224.

[2]– لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق: محمد عبد الله عنان ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1994م، المجلد الثاني ص 119.

[3]– مصطفى الشكحة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،ط5، 1983م، ص 533.

[4]– ابن اللبانة الدّاني، الديوان، جمع و تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، الأردن، ط 2، 1429هـ/ 2008م، ص 36.

يعد شعر "ابن البانة" أحسن مما رثى به "المعتمد" فقد كان الصديق الوفي الذي يعتمد عليه ويثق به.

طويت صفحة "المعتمد"، وزالت مملكته بعد أن أمضى سنوات سجنه صابرا رغم ثقل القيد وهلاك المال والدار، انتزعت حقوقه وكرامته وهو على قيد الحياة فقد استرجعها الأوفياء له بعد موته كان قبره محط رحال الشعراء على مر العصور والقرون مثل "لسان الدين بن الخطيب" وغيرهم، يَذكرون ويُذّكرون الناس على نبل الخلق وعفة النفس والوفاء والشجاعة والصمود حتى النهاية وعدم الخضوع ، صفات مدحه بها الشعراء على مختلف مستوياتهم، وصار دأبهم إجلاء ما خفي منها لرد اعتبار "المعتمد" واعتذارا له عن جور الزمان بحقه وبذلك يدخل "المعتمد" من خلال مأساته التاريخ الأدبي من بابه الواسع .

ثالثا: الأغراض الشعرية عند المعتمد قبل المنفى و بعده

شعر "المعتمد ين عباد" قسمين مختلفين كل الاختلاف، « صادق، في لهوه وعزّه فشعره عزة ولهو وإن مات بعض أولاده فشعره رثاء وحنين، وإن وقف فارسا في موقف البطولة فشعره بطولة، وإن أسر وسجن فشعره بكاء وحزن وذكر لماض وكلها أدب صادق حي يستطيع القارئ أن يلحظ هذه الفترات كلها في شعره, فهو ظل له فإن رأيت غزلا هادئا وحبا صادقا فذلك في الفترة الأولى، وإذا رأيت شعره فخرا وشمما مملوءا حماسة أو رثاء فذلك في الفترة الثانية، وإذا رأيت بكاء على الماضي ومقارنة بين ماض زاهر وحاضر بائس فاعلم أن هذا ظّل للفترة الثالثة »[1] ، وهكذا كان شعره مختلفا كل الاختلاف الاختلاف وخاصة في الفترتين قبل المنفى وبعده :

1_ شعره قبل المنفى:

[1]– أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1،2005 م،ج1، ص 495.

كان المعتمد قبل المنفى أيام ملك أبيه "المعتضد" ينعم بالملذات في مدينة شلب،«فلما صار الملك إليه وانتقل إلى إشبيلية طفق يحن إلى أيامه الماضية ويذكرها في شعره، ويصف مجالس لهوه وشرابه »[1] ، فيقول: (الكامل)

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ يَسْطَعُ نُورَهَا وَاللَّيْلُ قَدْ مَدَّ الظَّلَامَ رِدَاءَ
حَتَى تَبَدَّى البَدْرُ فِي جَوْزَائِهِ مَلِكًا تَنَاهَى بَهْجَةً وَ بَهَاءَ
لَمَا أَرَادَ تنَزُّهًا فِي غُرْبِهِ جَعَلَ المِظَلَّةَ فَوْقَهُ الجَوْزَاءَ
وَتَنَاهَضَتْ زَهْرُ النُّجُومِ يَحُفُّهُ لأَلاؤُهَا وَقَدْ اسْتَكْمَلَ اللَأْلَاءُ [2]

وهكذا كان لا يهمه شئ سوى اللهو والشراب، حيث كان باشبيلية أميرا لا يعرف من الحياة إلا ما يستميله ويرضيه من رفاهية ورغد عيش متعاطيا بلا مبالاة اللهو ومختلف الملاذ،لذا جاء معظم شعره في هذه الفترة يدور حول المرأة بجمالها الفتان و حول الخمر ،وكثيرا ما تغزل "المعتمد" بأم أولاده اعتماد فيقول: (الطويل)

أَبَاحَ لِطَيْفِي طَيْفُهَا، فِي الكَرَى، الخَدِ فَعَــضَّ بِــهِ تُفَاحَةً، وَاجْتَنَى وَرْدًا
وَ أَلْمَتْنِي ثَغْــرًا شَمَمْــــتُ نَسِيمَــــهُ فَخُيِــلَ لِــــي أَنِي شَمَمْتُ بِــــهِ نَدَا
وَلَوْ قُدِرَتْ زَارَتْ عَلَى حَــــالِ يَقَظَــــة وَلَــكِنْ حِجَابُ البَينِ مَا بَيْنَنَا مــدَا
أَمَا وَجَدْتِ عَنَّــا الشُــؤُونَ مُعْــــرَجَا؟ وَ لَا وَجَدْنَ مِنَّا خُطُوبُ النَوَى بَدَا؟[3]

فعواطف "المعتمد بن عباد" في هذه الأبيات عواطف محب صادق، يبين مدى حبه لها وقد لازمه هذا الحب إلى آخر يوم في حياته.

وقد برع كذلك في الوصف إذ نجده يصف شمعة قائلا:(السريع)

---

[1]– بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ص 148.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 69.

[3]– المصدر نفسه، ص 49.

وَشَمْـعَـةُ تَنْفِـي ظَـلَامُ الدُّجَى نَفْـيَ يَدِي العَـدَمِ عَـنِ النَاسِ
قَـدْ جَـعَـلَ الرَّحْمَـانَ، مِنْ لُطْفِـهِ حَيَـاتَـا فِـي القَطْـعِ الرَأْسِ
سَـاهَـرْتُـهَا وَ الكَأْسُ سَعَى بِهَـا مِـنْ رِيـقِـهِ أَشْهَـى مِنَ الكَأْسِ
ضِـيَاؤُهَـا، لاَ شَـكَ مِـنْ وَجْهِـهِ وَ حَـرِّهَـا مِـنْ حَـرِ أَنْـفَـاسِي[1]

و كان "للمعتمد" جارية يحبها اسمها "سحر" وقعت بينهما فجوة ، فتركت زيارته وقد مرض "المعتمد" فجاءت "سحر" تزوره »[2] فقال: (الطويل)

سَأَسْأَلُ رَبِي أَنْ يُدِيمَ بِي الشَكْوَى فَقَدْ قَرَبَتْ مِنْ مَضْجِعِي الرَشَأُ الأَحْوَى
إِذَا عَلَةٌ كَانَـتْ لِقُرْبِـكَ عِلَّـةٌ تَمَنَيْتُ أَنْ تَبْقَى بِجِسْمِـي وَ أَنْ تَقْـوَى
شَكَوْتُ وَسَحَرْ قَدْ أَغَبَّتْ زِيَارَتِـي فَجَاءَتْ بِهَا النِّعْمَى التِي سُمِيَتْ بَلْـوَى
فَيَا عِلَتِي دُومِـي فَأَنْـتِ حَبِيبَـةٌ وَيَا رَبُ سَمْعًا مِـنْ نِدَائِي وَ الشَّكْـوَى [3]

« فقد كان شعره رقيقا صادق المعاني، نقي الذوق، شريف الطبع، عذب الحديث إذا تكلم،وحسن الاختيار في نظم الألفاظ والمعاني، فكان شعره في جملته رقيق الحاشية صادقا في معناه خاليا من التكلف، أكثره مأخوذ من حوادث حياته، ومجونه لم يخرج فيه عن الوصف الجميل والأدب اللائق ».[4]

إن "المعتمد" في هذه الفترة من حياته كان يصف الطبيعة والجواري ومجالس اللهو والشراب ويتغزل بزوجه وإلى غير ذلك من الاستمتاع بالترف واللهو إلى أن انقلب شعره إلى شعر ألم وأسى.

[1]– المصدر نفسه، ص 77.
[2]– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 718.
[3]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 57.
[4]– ينظر: أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، دار المعارف، سوسة، تونس، ط2، 1998م، ص 122.

2_ شعره بعد المنفى:

إن حياة هذا الملك الشاعر انقلبت رأسا على عقب، فانتقاله إلى قرية أغمات بجنوب المغرب و قتل أبناءه "الفتح" و "يزيد"، وتعرض بناته للإهانة، وزوجته التي كانت تطأ مسكا وكافورا غدت في أغمات عليلة، كل هذا تفجر عند "المعتمد" مأساة أنتجت أجمل شعر خلد عير التاريخ.

« لقد هوى "المعتمد بن عباد" من قمة المجد إلى حضيض الأسر فكانت شكواه وغربته متميزة، وكان تعبيره متميزا أيضا ومتنوع الأشكال، لكنه دوما يتمحور حول مضمون واحد هو المقارنة بين الماضي العزيز والحاضر الذليل».[1]

« وقد ذكر "المعتمد" الأيام التي واجه فيها العدو البربري للدفاع عن عرشه فيجد في موقفه الشجاع مفخرة وشرفا على خلاف ما كان يظنه البعض من رفقائه الذين أشاروا عليه بالاستسلام خوفا عليه من هلاك لا محالة فكان رد فعله قاطعا غير قابل للنقاش»[2]،إذ قال عندما أخذ أسيرا أبياتا جميلة يرى فيها الموت خيرا من الحياة:

(مجزوء الكامل)

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُمُوعُ و تَرَبَّ هَ القَلْبُ الصَدِيعُ
وَ قَالُوا الخُضُوعَ سِيَاسَة فَلْيُبْد مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ
وَأَلَذُ مِنْ طَعْمِ الخُضُوعِ عَلَى فَمِي السُمُّ النَّقِيعُ
إِنْ يَسْلُبِ القَوْم العِدَى مُلْكِي، وَتَسْلَمُنِي الجمُوُعُ [3]

"فالمعتمد" يفضل أكل السم بدلا من الخضوع لأنه ليس من شيم الرجال الاستسلام،«كذلك كانت حسرته على أيامه الماضية وحالته الحاضرة منبعا من منابع

[1]– فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، الرباط، المغرب، ط1، 1993م، ص 189.

[2]– حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 51.

[3]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 150.

شعره وهو يتسلى عما يتذوق الآلام وليس في البؤس معين غير الشكوى، ولا للمنكوب ارتياح لغير أنينه ونظره إلى أيامه الماضية، وإلى تلك اللحظات التي كان ينعم فيها،فترتاح نفسه إلى ذكرها،فيشعر كأنه لا يزال في نعيمها ولذّاتها ليخفف عن نفسه وطأة التفكير بمحنة الزوال من الملك، وليكون ذلك تعويضا أو بعض تعويض عن الحرمان على المستوى النفسي بالرجوع إلى ذلك الماضي مع أنه يعلم أن النجوم أقرب إليه من ذلك»[1] فيقول:(البسيط)

غَرِيبٌ بِـأَرْضِ المُغْرِبِيـنَ أَسِيرُ سَيَبْكِي عَلَيْهِ مِنْبَـرُ وَ سَرِيرُ

وَ تَنْدَبُهُ البِيضُ الصَوَارِمُ وَالقِنَـا وَيَنْهَـلُ دَمْـعُ بَيْنَـهُنَ عَزِيرُ

مَضَى زَمَنٌ وَالمُلْكُ مُسْتَأنَسٌ بِهِ مَتَى صَلُحَتْ لِلْصَالِحِينَ دُهُورُ[2]

« ولما قتل المرابطون "ابنه المأمون" في قصر قرطبة و ألقوا بجسده على الأرض ومالوا إلى رندة حيث ابنه الثاني "الراضي" و قضوا عليه، قال "المعتمد" يرثيهما وقد رأى قمرية تنوح وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغما»[3] :(الطويل)

بَكَتْ أَنْ رَأَتْ إِلْفَيْن ضَمهُما وَكْـــرُ مساءً، و قَدْ أَخْفَى عَلَى إِلْفِها الدَهْرُ

بَكَتْ و لَمْ تُرِقْ دَمْعًا وَأسْبلتْ عَبْرة يُقْصُره عنها القطْر مهْما هَمَا القطْرُ

وَنَاحَتْ فَبَاحَت و اسْتَرَاحَتْ بِسِرهَا وَمَـا نَطَقَـــتْ حَرْفًـــا يبُوحُ بِهِ سِر

فَمَالِي لَا أَبْكَي أَمِ القَلْبُ صَخْـــرَة؟ وكَم صَخْرةٍ فِي الأَرْضِ يَجْرِي بِهَا نَهْرُ[4]

[1]– مقداد رحيم، رثاء النفس في الشعر الأندلسي، جهينة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص 215.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 171.

[3]– أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، ص 127.

[4]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 164، 165.

« تحمل "المعتمد بن عباد" كل أنواع المحن التي مرّ بها بفضل ما كان يحظى به من قوة نفسانية نادرة، إلاّ أنه لم يستطع تحمل الأغلال الثقيلة في قدميه فخاطبها بكآبة لعلها ترحمه وتشفق عليه »[1]: (السريع)

قَيْدِي ! أَمَا تَعْلَمُنِي مُسْلِما؟ أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَا

دَمِي شَرابُ لَكَ وَاللَحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ، لَا تُهَشِّم الأَعْظُمَا

ارْحَمَ طُفَيْلًا طَائِشًا لُبُه لَم يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مُسْتَرْحَمَا

وَ ارْحَمْ أُخَيَاتٍ لَهُ مِثْلَهُ جَرَعْتَهُنَ السُمَ وَ العَلْقَمَا[2]

كبّلت القيود "المعتمد" وأكلت لحمه وشربت دمه، فنراه يستشفع لها بأن لا تكمل أكل العظام.

وإذا انتقلنا إلى شعر "المعتمد بن عباد" وفيما قاله في زوجته وبناته « نجد "المعتمد" في أسوأ حال والحال الذي آلت إليه أسرته أمر لا يطاق، إذ دخل عليه في السجن بناته يوم العيد في أطمار بالية »[3] ، لطالما عرفن رغد العيش والرخاء فيقول:(البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ بِأَغْمَاتَ مَأْسُورَا

تَرَى بَنَاتَكَ في الأطْمارِ جَائِعَةً يَغْزُلْنَ للنَاسِ لَا يَملُكْنَ قَطْمِيرَا

يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَالأَقْدَامُ حَافِيَة كَأنَها لَمْ تَطَأْ مَسْكَا وَ كَافُورَا

أَفْطَرْتُ فِي العِيدِ لاَ عَادَتْ إِسَائَتَهُ فَكَانَ فطْرُكَ لِلْأَكْبَادِ نَقْطِيرَا[4]

---

[1]– ينظر: حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 52.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 181.

[3]– أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، مصر، ط25، دت، ص 318.

[4]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 169.

لطالما عرفن بنات "المعتمد" رغد العيش ورخائه ، وما إن مرت عليهم الأيام نجدهن بحاجة إلى لقمة عيش يكسرن بها جوعهن.

« واتفق أن السيدة الكبرى أم بنيه اعتلت، وكان الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر بمراكش، قد استدعاه أمير المسلمين لعلاجه، فكتب إليه "المعتمد" راغبا في علاج السيدة و مطالعة أحوالها بنفسه، فكتب إليه الوزير مؤديا حقه ومجيبا له عن رسالته ومسعفا له في طلبه، واتفق أن دعا له في أثناء الرسالة بطول البقاء »[1] ، فقال "المعتمد" في ذلك: (الوافر)

دَعَا لِي بِالبَقَاءِ وَكَيْفَ يَهْوَى أَسِيرٍ أَنْ يَطُولَ بِهِ البَقَاءُ ؟

أليْسَ المَوْتُ أَروَحُ مِنَ حَيَاة يَطُولُ عَلَى الشَقِي بِهَا الشَقَاءُ ؟

فَمَنْ بِكَ مِنْ هَوَاهُ لِقَاءُ حبٍ فَإِن هَوَاي مِن حَتْفِي اللِقَاءُ

أأَرْغَبُ أَنْ أَعِيشَ أَرَى بَنَاتِي عُوَارَى قَدْ أَضَرَ بِهَا الحَفَاءُ ؟[2]

يتحسر الشاعر لحاله والحال التي آلت إليها أسرته فيتمنى الموت بدل أن يرى هذا الموقف.

فقد كان "المعتمد بن عباد" « شاعرا مجيدا وكاتبا مترسلا وقد امتاز شعره وكلّه مقطعات،بالوضوح في التصوير، و البساطة في التعبير، مع إلهام معجز، و تنميق موجز، و رنات موسيقية وتشبيهات بديعية، تنم من دقة الذوق وصدقه ومدى معرفة الشاعر بالأدب»[3]

[1]– عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 137.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، 176.

[3]– إيميل بديع يعقوب، موسوعة الأدب و الأدباء العرب في روائعهم، العصر العباسي (2)، دار نوبليس، بيروت، لبنان ط1، 2006م ،ج10، ص 443.

إن المتتبع لشعر "المعتمد" يستطيع أن يميز بكل بساطة دون بذل أي جهد، الشعر الذي قاله في عزه و سلطانه و الشعر الذي قاله في ذله و أسره، إذ كان الغزل و الخمر والوصف والفخر والرثاء والمطارحات حيث عاش أميرا، وشعر الألم و الشكوى والاستعطاف و المرارة و المقارنة بين الماضي و الحاضر حيث عاش أسيرا .

ويعد شعره الذي قاله في أسره أصدق أشعاره عاطفة و أكثره أثرا على النفس فقد صور فيه مرارات السجن و آلام النفي و جراح الجسد و انفلاق القلب ، و"المعتمد بن عباد" لم يقل الشعر إلاّ في أحواله الخاصة فلا هو من شعراء المدح، ولا هو من شعراء الهجاء، لأن الله أغناه بعزة الملك عن التّعرض للناس بالذم والشتائم أو التكسب، وخلود ابن عباد في الأدب لم يكن في الشعر الذي قاله وهو خافض العيش في نعيم دواته وإنما يعود خلوده إلى ذلك الشعر الوجداني الخالص الذي قاله في نكباته بعدما قتل أولاده الثلاثة، وأسر في حرب المرابطين فقادوه من قصره ذليلا مهانا إلى أغمات.

الفصل الثاني: تجليات الاستعطاف في شعر المعتمد ومزجه بالأغراض الشعرية الأخرى

أولا: تجليات الاستعطاف في شعر المعتمد عباد

1_ استعطافه لوالده

2_ استعطافه لابن تاشفين

ثانيا: مزج الاستعطاف بالأغراض الشعرية الأخرى

1 -المدح

2 -الفخر

3 -الهجاء

4 -الوصف

5 -الرثاء

لقد كان شعر الاستعطاف في عصر ملوك الطوائف نصيب أوفر مقارنة بالعصور الأخرى وقد كان هذا نتيجة لأسباب متعددة وأهمها الأسباب السياسية وقد كان الاستعطاف مختلف بين المستعطفين، فبعضهم يستعطف الحاكم ونجد هذا النوع عند ابن اللبانة وابن عمار والمعتمد بن عباد و بعضهم يستعطف المحبوبة –كما كان شأن ابن زيدون– و بعضهم الآخر يستعطف الوالد، ولكن ونحن بصدد دراسة الاستعطاف في شعر المعتمد بن عباد يتراء لنا أن استعطاف المعتمد يكمن في جانبين الجانب الأول وهو استعطافه لوالده المعتضد– ولقد كان لهذا النوع من الاستعطاف نصيب قليل من الأشعار الاستعطافية و لا شعرا يمكن وضعه تحت هذا العنوان إلاّ قصائد لآل عباد حين استعطف المعتمد والده وحين آلت إليه مقاليد الحكم وقف بعض أبنائه أمامه معتذرين مستعطفين–والجانب الثاني وهو استعطافه لابن تاشفين، وقد امتزج الاستعطاف بأغراض شعرية أخرى مثل المدح و الرثاء و الوصف ... إلخ .

أولا : تجليات الاستعطاف في شعر المعتمد عباد

1_ استعطافه لوالده :

كان "المعتضد" شهما صارما حديد القلب شجاع النفس بعيد الهمة ذا دهاء و«اتسمت فترة حكمه بالحروب مع بقية الملوك حبا في التوسع والسيطرة، وقد استطاع القضاء على خصومه وتثبيت أركان دولته »[1]، وكان يقتل كل من يخونه أو يحاول حتى خيانته ولم يمنع من هذا أحد حتى ابنه "اسماعيل" الذي لم يتردد في قتله.

وعندما كلف هذا الملك الجبار ابنه بمحاربة أمير مالقة "باديس بن حابوس" رحل "المعتمد" مع أخيه جابر يقودان جيشا عظيما وتمكنا من إخضاع مالقة في بداية الأمر،– كما سلف الذكر– « وقد كان أهل مالقة أشاروا على ابني "المعتضد" حين خلّوا بينهما وبين البلد، بإذكاء العيون، وإساءة الظنون وضبط ما حولها من المعاقل والحصون فغفلا»[2]، وقضى ليلتهما في اللهو والمجون بينما قضى الفريق الآخر في التخمين والتدبير

[1]– محمد شهاب العاني،الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف،دار دجلة،عمان،الأردن، ط1،2010م،ص 18.

[2]– ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الثاني ، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1417هـ/1997م ، المجلد الأول، ص 50

للفتك "بالمعتمد" لما رأوه فيه من قلة العزم واللامبالاة وكانت هذه نقطة قوة لأعدائه وبالفعل فقد تمكنوا من الفتك بجيش "المعتمد" و نهب سلاحه وعتاده وفّر "المعتمد" وأخوه مهزومين يجران ذيول الخزي والعار.

و« أقام المعتمد وأخوه في مدينة رندة، وكانا في أسوء حال قضيا وقتيهما في هم وقلق وخاصة بعدما أشيع أن والدهما قد أهدر دمهما وأعد لمقابلتهما سيفا بتارا فأخذ "المعتمد" يفكر في كيفية الخلاص، فخطر على باله أن يكتب إلى أبيه قصيدة يعتذر إليه عساه يقبل عذره ويعطف عليه وعلى أخيه »[1]، وفعلا كتب "المعتمد" قصيدة افتتحها بدعوة أبيه إلى الصبر و وضع الهم و القلق جانبا لأن القدر لا يرد و كأنه بذلك يلفت نظر أبيه إلى أن الهزيمة التي لحقت به كانت قدرا واقعا لا مرد له والقدر قد يأتي بما يفرح القلب ، كما قد يأتي بما يحزنه ، واستعطفه قائلا في مطلع قصيدته: (البسيط)

سَكِّنْ فُؤَادَكَ لَا تَذْهَبْ بِكَ الفِكْـــرُ مَاذَا يُعِيدُ عَلَيْـكَ البَـــثُّ وَالحَـــذَرُ

وَاْزُجُرْ جُفُونَكَ لاَ تَرْضَ البُكَاءَ لَهَا ! وَاصْبِرْ فَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ الخَطْبِ تَصْطَبِرُ

وَإِنْ يَكُنْ قَدْرٌ قَدْ أَعَاقَ مِنْ وَطَـــرِ فَلَا مَرَدَ لِمَـا يَأْتِـي بِـــهِ القَـــدَرُ

وَ إِنْ تَكُن خَيْبَةٌ فَي الدَهْرِ وَاحِـدَةٌ فَكَمْ غَدَوْتَ وَمِـنْ أَشْيَاعِـكَ الظَّفَـرُ[2]

ويستعطفه في أبيات أخرى ويطلب العفو والغفران لأن عدم رضا والده أدى به إلى المرض وسوء الحال وإن لم يصفح عنه والده سيظل سقيما عليلا ولا يهنأ بالراحة إلاّ برضاه عنه (مجزوء البسيط):

مَوْلَاي أَشْكُو إِلَيْكَ دَاءً أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيحَا

إِنْ لَمْ تُوَجِّه رِضَاكَ عَنِّي فَلَسْتُ أَدْرِي لَهُ مُرِيحَا

سَخْطُك قَدْ زَادَنِي سَقَاما فَابْعَثْ إِلَيَّ الرِضَى مُسِيحَا

وَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَ لاَ تُضَيِّقْ عَنْ حَمْلِهَا صَدْرِكَ الفَسِيحَا

---

[1]– ينظر: حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص 41 .

[2]– المعتمد بن عباد ، الديوان، ص 99 .

لَوْ صَوَرَ اللهُ المَعَالِي جَمًا لَأَصْبَحْتَ فِيهِ رُوحَا [1]

و يشكوا إليه مرضه كذلك في قصيدة أخرى قوله: (الوافر)

تَسَخطُكَ المُمِـــضّ أَعَـــلَ نَفْسِي وَ مَـا لِي غَيْرُ عَفْوُك مِـنْ طَبِيبِ

وَ لَسْتُ بِمُــذَكِـر ذَنْبِي وَلَكنَنِـــي قَدْ جِئت فِـي حَـالِ المُرِيـــبِ[2]

«ولقد كانت تلك الهزيمة التي لحقت "بالمعتمد" حين دخل "المعتمد" مالقة و أخرج منها»[3]،مصيبة عظيمة أرّقته، وزاد من أرقه وقلقه خوفه من عقاب والده– الموت لا محالة– « ويحاول "المعتمد" أن يستثير عاطفة والده عندما يصف سوء حاله وضنك عيشه بعدما حلت به تلك المصيبة، وقد أخفر ذِمَمَه ونذر دمه »[4]، ثم يدعوا والده إلى العفو عنه، فيقول:(البسيط)

لَقَدْ أَخْلَفَتْنِي صُرُوف أنْـتَ تَعْلَمُهَا وَقَال مُورِدُهَا: مَالِي بِهَا صَـدْر

فَالنَفْسُ جَازِعَة وَالعَيْنُ دَامِـعَـــةً وَ الصَوْتُ مُرْتَفَعٌ وَالسِرُّ مُنْتَشِرُ

وَ زَادَ هَمِي وَ مَا بِالجِسْمِ مِنْ سَقَمِ وَشِبْتُ رَأْسًا وَلَمْ يَبْلُغَنِي الكِبَـرُ

وَذُبْتُ إلاَّ ذِمَاءً فِـيَ يُمْسِـــكُنِي اِنِي عَهَدْتُكَ تَعْفُو حِينَ تَقْتَـدِرُ[5]

و يصور والده مقاتلا شجاعا يقاتل الأعداء كالليث الباسل وكان "المعتمد" يقاتل مع ذلك الليث وكأنه مخلب له أو ناب، فيقول:(البسيط)

يَا ضَيْـغَمًا يَقْتُـلُ الأَقْرَانَ مُفْتَرِسًـا لاَ تُوهنِنِي، فَإِنـي النَـابُ وَ الظِّفْرُ[6]

---

[1]– المصدر السابق ، ص 96.

[2]– المصدر نفسه ، ص 98.

[3]– ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ص 47 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 50.

[5]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 101.

[6]– المصدر نفسه، ص 101.

و في نفس القصيدة يعتذر "المعتمد" عن الذنب الذي ارتكبه و يطلب منه العفو وأنه لا يستحق العقاب والذم من والده ، لأن الذي يستحق العقاب والذم هم الأعداء الذين يحاولون جاهدا زرع الحقد والبغض بين المسلمين وسلاحهم الفتنة و الغش و الخداع فيقول في هذا الشأن:(البسيط)

كَمْ يَأْتِي عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُ بِهِ ... عُتْبى، وَ هَاهُو قَدْ نَادَاكَ يَعْتَذِرُ

وَمَا الذَنْبُ إلاّ عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغْلٍ ... وَفَى لَهُمْ عَهْدُكَ المَعْهُودُ إذْ غَدَرُوا

قَوْمٌ: نَصِيحَتَهُمْ غِشٌ، وَصِدْقَهُمْ ... مَيْنٌ، وَ نَفْعَهُمْ، إذَا صَرَفُوا، ضَرَرُ

يُمَيِزُ البَغْضُ فِي الأَلْفَاظِ إنْ نَطَقُوا ... وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ إنْ نَظَرُوا[1]

و يلتمس "المعتمد" الرضى في قصيدته من والده والشاعر إن نال هذا الرضى فسوف يطيب عيشه، وينسى همومه وأحزانه، ويتخلص من أرقه وقلقه، أما إن أخفق في إرضاء والده فسوف تبقى حياته مسودة في وجهه، وسيكون موته أحب إليه من حياته وفي ذلك يقول:(البسيط)

رِضَاكَ رَاحَةُ نَفْسِي ! لَا فَجُعَتْ بِهِ ... فَهُوَ العَتَادُ الذِي لِلدَّهْرِ أَدَخِرُ

وَ هُوَ المَدَامُ التِي أسْلُوا بِها فإذَا ... عَدَمْتَهَا عَبَثَتْ فِي قَلْبِيَ الفِكْرُ

مَا تَرَكَنِي الخَمْرُ مِنْ زُهْدً وَلا وَرَعٍ ... فَلَمْ يُفَارِقْ– لِعُمْرِي– سِنِّي الصِغَرُ

وَ إنَّمَا أنَا سَاعٍ فِي رِضَاكَ فَإنْ ... أخْفَقْتَ فِيهِ، فَلَا يَفْسَحُ لِيَ العُمْرُ[2]

و عندما انتهى "المعتمد" من كتابة قصيدته أرسل بها إلى والده، وبقي أياما خافقا يترقب،فلما بلغت القصيدة والده عفا عنهما، واستدعاهما إلى حضرته، وحين علم "المعتمد" وأخوه جابر بعفو أبيهما عنهما طارا فرحا، وأخذا يستقبلان الحياة من جديد.

[1]– المصدر السابق، ص 102.

[2]– المصدر نفسه ، ص 102.

2- استعطافه لابن تاشفين:

كان المعتمد بن عباد ملكا عظيما قويا شجاعا ذا كرامة و عزة نفس ذا منصب عال « لم يقع في موقع إعتذار أو استعطاف غير ما بدر منه من إعتذار لوالده فقد كان هو من يلجأ إليه ذوو الذنوب للاعتذار والاستعطاف، لذا فقد منعه ماضيه المجيد و عزة نفسه الوقوف موقف أولئك الذين كانوا يقفون ببابه – ومن بين هؤلاء نجد أبرزهم ابن عمار– فأبى أن يستعطف ابن تاشفين وكان استعطافه تلميحا لا تصريحا في قوله حين رفض الخضوع و دافع عن نفسه وملكه مع عدم الاستسلام وبأسه و ترامیه على الموت بنفسه ما لا مزيد لبشر عليه، ولا تناهي لخلق إليه »[1]، وفي ذلك يقول "المعتمد" بعد أن نزل في أغمات أسيرا: (مجزوء الكامل)

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُمُوعُ وَتَنَبَهَ القَلْبُ الصَّدِيعُ
وَتَنَاهَتْ هِمَمِي لَمَا يَسْتامُهَا الخَطْبُ الفَظِيعُ
قَالُوا: الخُضُوعُ سِيَاسَةٌ فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ
وَأَلَذُ مِنْ طَعْمِ الخُضُو عِ عَلَـــــى فَمِــي السُـمُّ النَقِيــعُ[2]

إلى قوله:

أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ بِهَوَايَ ذُلِّي وَالخُشُوعُ
مَا سِرتُ قَطْ إِلَى القِتَا لِ وَ مَا كَانَ أَمَلِي الرُجُوعُ
شِيَمُ الأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَ الأَصْلُ تَتْبَعُهُ الفُرُوعُ [3]

"فالمعتمد" يتمنى الموت في تلك المعركة و ينبذ المصير الذي آل إليه من ذل و هوان وقد بدأ يفقد كبريائه وعزة نفسه مع مرور الوقت وهو في السجن.

و نجد "المعتمد" يمدح "يوسف ابن تاشفين" مستعطفا له تلميحا لا غير ، بالرغم من إساءته له و حرمانه من ملكه و أسرته و زجه في السجن ، و كان هذا بدافع إثارة عاطفة

[1]- ابن بسام ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 52
[2]- المعتمد بن عباد، الديوان، ص 150.
[3]- المصدر نفسه، ص 151.

أمير المرابطين و استمالة قلبه وذلك نلمحه في قصيدة تحدث فيها عن شجاعة "ابن تاشفين" في معركة الزّلاقة و التي انهزم فيها الأعداء أيما انهزام ، وفي ذلك يقول: (المتقارب)

قَلْبِي نُزُوعٌ إِلَى يُوسُفُ ... فَلَوْلَا الضُلُوعُ عَلَيْهِ لَطَارَا
وَ يَوْمَ العُرُوبَةِ ذُدتْ العِدَى ... نَصَرْتَ الهُدَى وَ أَبَيْتَ الفِرَارَا
تَثّبت هُنَاكَ وَ أَنَّ القُلُو ... بَ بَيْنَ الضُلُوعِ لَتَأْبَى الفِرَارَا
وَ لَوْلَاكَ يَا يُوسُفُ المُتَّقَى ... رَأَيْنَا الجَزِيرَةَ لِلْكُفْرِ دَارَا
رَأَيْنَا السُيُوفَ ضُحَى كَالنُجُومِ ... وَ كَاللَيْلِ ذَاكَ الغُبَارُ المُثَارُ
فَلِلَّهِ دَرُّكَ فِي هَوْلِهِ ! ... لَقَدْ زَادَ بَأْسُكَ فِيهِ اشْتِعَارُ ![1]

فلولا تدخل أمير المرابطين "يوسف بن تاشفين" لانهزم "المعتمد" وكل ملوك الطوائف أمام القشتاليين ولتحولت دار المسلمين إلى دار الكفار والأعداء.

و يختم "المعتمد" قصيدته فتظهر معان دينية بذكر يوم الحساب و ثناء الشهداء على يوسف لقوته وبسالته وصده للأعداء و تبشيره بالخير وعدم الخوف من الحياة الدائمة وهذه المعاني لم تظهر في شعره قبل أسره.(المتقارب)

سَتَلْقَى فِعَالُكْ يَوْمَ الحِسَا ... بِ تُنْثَرِ بِالمِسْكِ مِنْكَ انْتِثَارَا
وَ للشُهَدَاءِ ثَنَاءٌ عَلَيْكَ ... بِحُسْنِ مَقَامِكَ ذَاكَ النَّهَارَا
وَ أَنَهُمْ بَكِ يَسْتَبْشِرُو ... نَ أَلَا تَخَافُ وَ لاَ تَضَارَا[2]

و نجد التلميح للاستعطاف « حين التمس "المعتمد" العطف من القيد وطلب الرحمة و"المعتمد" أثناء مخاطبته للقيد لم يكن يقصد القيد في حد ذاته لأنه يعلم أنه كائن جامد لا داعي لمخاطبته أو مناجاته وإنما قصد بذلك "ابن تاشفين" وطلب الرحمة منه واتخذ من القيد سبيلا في استعطافه وقد قال هذه الأبيات حين دخل عليه وهو في تلك الحال ولده "أبو هاشم" والقيود قد عضّت بساقيه عض الأسود ، والتوت عليه التواء الأساود

[1]– المصدر السابق، ص 159، 160.
[2]– المصدر نفسه ، ص 160.

السود،وهو لا يطيق إعمال قدم، ولا يريق دمعا إلا ممتزجا بدم، بعد ما عهد نفسه فوق منبر وسرير، وفي وسط جنة وحرير »[1]، و ابنه أبو هاشم مقيدا فارتاع من ذلك : (السريع)

قَيْدِي ! أَمَا تَعْلَمُنِي مُسْلِمَا؟ أَبَيْتَ أَنْ تُشْفِقَ أَوْ تَرْحَمَا

دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَ اللَحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ، لاَ تُهشِمِ الأَعْظُمَا

يُبْصِرُنِي فِيك أَبُو هَاشِم، فَيَنْثَنِي وَ القَلْبُ قَدْ هُشِمَا

إِرْحَمْ طُفَيْلاً طَائِشًا لُبُّهُ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مُسْتَرْحَمَا[2]

و "المعتمد بن عباد" عندما كان في أسره غلب على شعره طابع المقارنة والموازنة بين الماضي السعيد و الحاضر التعيس والسقوط من القمة إلى الحضيض «هذه الموازنة التي أظهرت عاطفة "المعتمد" الغارقة في الأحزان والآلام النفسية و الجسدية فيقول وقد دخل عليه يوما بناته للسجن وكان يوم عيد وكن يغزلن للناس بالأجرة في أغمات،حتى إن إحداهن غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فرآهن في أطمار رثّة وحالة سيئة »[3]، فأنشد: (البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا

تَرَى بَنَاتَكَ فِي الأَطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزِلْنَ للنَاسِ لاَ يَمْلِكْنَ قَطْمِيرَا

بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلْتَسْلِيمِ، خَاشِعَةً أَبْصَارَهُنَ ، حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرَا

يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَ الأَقْدَامُ حَافِيَةً كَأَنَهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًا وَ كَافُورَا[4]

لقد حاول "المعتمد" إستمالة قلب "ابن تاشفين" عليه ولفت انتباهه بهذه الموازنة لكن كان ذاك دون جدوى حينها اقتنع بمصيره أن دوام الحال من المحال لعل هذه القناعة تريح قلبه وتبعث الطمأنينة في نفسه، يقول:(البسيط)

---

[1]- أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 36.

[2]- المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 181.

[3]- أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص 35.

[4]- المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 169.

اقْنَعْ بِحَظِكَ فِي دُنْيَاكِ مَا كَـــــانَ وَ عِزُ نَفْسَـــكَ إنْ فَارَقَت أَوْطَانَا

فِي الله مِنْ كُلِ مَفْقُودِ مَضَى عَوَضَ فَاشْعُرْ القَلْبَ سِلْوَانَـــا وَ ايمَانَـــا

أَكُلَمَا سَنَحَتْ ذِكْرَى طَـــرُبَتَ لَهَـــا مَجّتْ دُمُوعَكَ فِي خَدَيْـكَ طُوفَانَا؟

أَمَا سَمِعْتَ بِسُلْطَانٍ شَبِيهُكَ قَـــــدْ بَزَّنهُ سُودُ خُطُوبِ الدَّهْرِ سُلْطَانَا؟[1]

ويقول في موضع آخر:(الكامل)

المُلْكُ لَا يُبْقِى عَلَى أَحَدٍ وَ المَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدًا [2]

و لكن صدق عاطفة "المعتمد" لم تثر عاطفة "ابن تاشفين" الذي أبقاه في سجنه يعاني آلام القهر و الخيبة حتى وافاه أجله المحتوم بالرغم من أن أمير المرابطين كان معروفا بالتسامح والعفو على الأخطاء .

ثانيا: مزج الاستعطاف بالأغراض الشعرية الأخرى

لقد كان الشاعر المستعطف يتناول إلى جانب الاستعطاف غرضا شعريا أو أكثر لتكون أغراضا ثانوية تساعده في تحقيق هدفه المتمثل في كسب عطف من يستعطفه،واستمالة قلبه، و نكاد لا نجد قصيدة أو مقطوعة من قصائد "المعتمد بن عباد" الاستعطافية و غير ممزوجة بأغراض شعرية أخرى وتختلف هذه الأغراض حسب المقام:

1- المدح:

المدح « هو حسن الثناء وتعداد لجميل المزايا ووصف الشمائل الكريمة، وإظهار التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا، وعرِفوا بتلك هاتيك الشمائل »[3]، ويعد فن المدح من بين الأغراض الشعرية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بغرض الاستعطاف وخاصة تلك الأشعار الموجهة إلى الحاكم لأن فيها مدحا للحاكم

[1]- المصدر السابق، ص 192.

[2]- المصدر نفسه، ص 148..

[3]- أحمد أبو حاقة، فن المديح و تطوره في الشعر العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان،ط 1، 1962م، ص 5.

والثناء عليه، و كان الشاعر يستخدم المدح باتخاذه وسيلة للاستعطاف فتجلت في أشعاره نغمات الاستعطاف و الاستشفاع .

فنجد "المعتمد بن عباد" يستعطف والده "المعتضد" حتى يستأصل غضبه عليه بعدما هزُم في معركة من معاركه و قد سبق استعطافه بمدح والده ، حتى أنه بالغ في ذلك فجعله أكثر من مقام الشمس فأنشده يقول:(الكامل)

الشَّمْسُ تَخْجَلُ مِنْ جَمَالِكَ فَتَغِيبُ مُسْرِعَةً لِذَلِكَ

وَ الغَيْثُ يَحْيَا أَنْ يَصُو بَ لِمَا يَرَاهُ مِنْ نَوَالِكَ [1]

لقد كان "المعتضد" رمز القوة والشجاعة وقد شيده ابنه على هذه البسالة في مواضع عدة حيث قال :(مجزوء الكامل)

لله دَرْ أَبِي السِنَان مِنْ فَارِس شَهْم الجَنَانْ

تَخْشَاهُ آسَاد الرِجَا لِ, كَمَا تَهِيمُ بِهِ القِنَانْ

فَبِبَأْسِهِ يُشْقِي العِدَى, وَبِحُسْنِهِ يُصْبِي الحِسَانْ [2]

إذا فالمدح قد كان ملازما لغرض الاستعطاف في شعر "المعتمد بن عباد"، وخاصة حين كان يستعطف والده فكان الأنسب مزجه بالمدح الذي يتلائم مع الموقف الذي كان فيه وهو ذكر محاسن ومزايا الوالد حتى ولو كانت مجازا فالمهم عند "المعتمد" هو استمالة قلبه بشتى الوسائل.

2- الفخر:

الفخر « هو المدح نفسه إلاّ أن الشاعر يخص به نفسه وقومه »[3] ، و يعد الفخر من بين الأغراض الشعرية التي مزجها الشعراء أثناء استعطافهم ويهدف الشاعر من خلال مزج هذا الغرض بالاستعطاف هو لفت نظر المستعطَف لمناقبه المتعددة و فضائله

[1]- المعتمد بن عباد، الديوان، ص 94.

[2]- المصدر نفسه، ص 94.

[3]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق : عبد الحميد محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5،1981,م،ج2، ص143.

الماضية وتذكير المستعطَف ببسالة الشاعر وقوته لذا لا ينبغي أن يهان القوي أو يذل لخطأ واحد اقترفه فخدماته السابقة وبطولاته في فترات ماضية كفيلة في تخفيف الذنب المرتكب وفي نفس الوقت فالشاعر يحافظ على كرامته وعزة نفسه أثناء استعطافه.

نلمح "المعتمد" وهو بصدد استعطافه لوالده أثناء هزيمته في معركة مالقة يفخر بنفسه في معرض مدحه لوالده حيث كان والده الذي يفتك أعدائه كالأسد الذي يفتك فريسته، وكان "المعتمد" يشّبه نفسه بالمخلب والناب لذاك الأسد، حيث يقول :(البسيط)

يَا ضَيْـغَمًا يَقْتُــلُ الأَقْرَانَ مُفْتَرِسًا لاَ تُوهِنَنِي، فَإِنـي النَـابُ وَ الظِّفْـرُ [1]

و ينتقل "المعتمد" بالافتخار بأخلاقه العالية التي ترعرع عليها عند والده، وهذه الأخلاق الرفيعة جعلته يبتعد عن الملذات والانقياد وراء الشهوات، حتى أنّ الجواري الفاتنات عجزن عن إغوائه فالوحيدة التي أعجبته تزوجها وكانت أم أولاده فيفخر قائل(البسيط):

لَوْ أوتِيَ مِنْ زَمَنِي شَيْئًا أُسَرُ بِهِ فَلَسْتُ أَعْهَدُ مَا كَأْسُ وَ لَا وَتَــرُ

وَ لاَ تَمَلَكَنِـــــي دَّلَ وَ لاَ خَفَــر وَ لاَ سَمَى خَلَدِي غُنْج وَ لاَ حَوَرُ [2]

و يستعطف "المعتمد" والده مفتخرا بالانتصارات التي أحرزها و انتشرت أخبارها في الآفاق، وسوف تبقى تلك الانتصارات خالدة لا تفنى مع مرور الأيام وتعاقب الليالي فيقول: (البسيط)

كَمْ وَقْعَةً لِي فِي الأعْــدَاءِ وَاضِحَــةً تَفْنَى اللَيَّالِي وَمَا يَفْنَى لَهَا الخَبَرُ

سَارَتْ بِهَا العِيسُ فِي الآفَاقِ فَانْتَشَرَتْ فَلَيْــسَ فِي كلِ حيٍّ غَيْرَهَا سَهَرُ [3]

و نلحظ أن الفخر في الاستعطاف يدل على المكانة المرموقة التي كان يحتلها المستعطَف و لأن ليس كل الشعراء المستعطفين يدرجون الفخر ضمن الاستعطاف

[1]- المصدر السابق، ص 101.

[2]- المصدر نفسه، ص 102.

[3]- المصدر نفسه، ص 103.

فبعض الشعراء المستعطفين الذين هم من عامة الناس لا يمزجونه– الفخر– مع الاستعطاف لأنهم لا يملكون شيئا يفخرون به.

3– الهجاء:

ومن بين الأغراض الشعرية التي مزجها الشعراء كذلك مع الاستعطاف الهجاء وهو « فن من فنون الشعر يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء »[1]، وقد حاول "المعتمد" تبرئة نفسه فينفي التهم الموجة إليه وينسبها إلى أعدائه وحسّاده الذين أرادوا النيل منه وإلحاق الأذى به بشتى الوسائل .

"فالمعتمد بن عباد" يحمل على أولئك الأعداء الذين يخالفون الوعود ويغشون في النصيحة ويخفون الكره وراء الود والضرر وراء النفع لكن كرههم ظاهر في كلامهم إن تحدثوا وفي عيونهم إن نظروا أولئك هم الذين يستحقون العقاب وأشد العقاب وليس الذي أخطأ خطأ وغير مقصود بالمرة فيهجوا الأعداء قائلا:(البسيط)

وَمَا الذَّنْبُ إلاَّ علَى قَوْمٍ ذَوِي دغلٍ وَفَى لَهُمْ عَهْدُكَ المَعْهُودُ إِذْ غَدَرُوا

قَوْمٌ: نَصِيحَتَهُمْ غِشُ، وَصَدْقَهُمْ ميْنٌ، وَنَفْعَهُمْ، إِذَا صَرَفُوا، ضَرَرُ

يُمَيِزُ البَغْضُ فِي الأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ إِنْ نَظَرُوا[2]

"فالمعتمد بن عباد" في هذا الموقف يستعطف والده عن طريق الهجاء على الأعداء والخونة الذي يستحقون أشد العقاب وليس هو الذي أخطأ لمرة واحدة بسبب قلة الخبرة وحداثته على المعارك لذا فلا يستحق العقاب، و المعتمد و هو بصدد هجائه لأعدائه ليس إغاضتهم بل كان هدفه من ذلك دفاعه عن نفسه ورفع التهم عنه.

[1]– فوزى عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، مصر، ط1،2007م، ص 12.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 102.

4- الوصف:

قال بعض المتأخرين : « أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا وأصل الوصف الكشف والإظهار »[1]، ولقد كان الوصف كذلك من بين الأغراض الشعرية التي لجأ إليه الشعراء أثناء أشعارهم الإستعطافة لاستمالة قلوب المستعطَفين، « و يستهدف موضوع الوصف إما التحسين أو التقبيح »[2]، فاستخدموا الوصف في مجالات متعددة حيث وصفوا الحال التي آلوا إليها ووصف معاناتهم و بؤسهم .

"فالمعتمد" ضاقت به الدنيا فيصف ضنك العيش وسوء الحال التي لآل إليها خوفا من والده القاسي القلب، شديد البأس حيث تغير عليه الحال وأصبح كالسقيم الذي يصارع الداء وبدا كالشيخ الهرم الطاعن في السن وهو مازال في ريعان شبابه فيصف حاله قائلا (البسيط):

لَقَدْ أَخْلَفَتْنِي صُرُوف أنْتَ تَعْلَمُهَا وَقَال مُورِدُهَا: مَالِي بِهَا صَـدْر

فَالنَفْسُ جَازِعَة وَالعَيْنُ دَامِعَـــــةً وَ الصَوْتُ مُرْتَفَعٌ وَالسِرُّ مُنْتَشِرُ

وَ زَادَ هَمِي وَ مَا بِالجِسْمِ مِنْ سَقَمِ وَشِبْتُ رَأْسًا وَلَمْ يَبْلُغَنِي الكِبَـرُ

وَذُبْتُ إلاَّ ذِمَاءً فِيَ يُمْسِكُنِـــــي اِنِي عَهَدْتُكَ تَعْفُو حِينَ تَقْتَـدِرُ[3]

و يصف الشاعر حاله مستعطفا "ابن تاشفين" واصفا حال بناته يدخلن عليه يهنئنه بالعيد وكنّ في حال يرثى لها يرتدين ثياب بالية وكّن يغزلن للناس لينفقن على أنفسهن:(البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا

تَرَى بَنَاتَكَ فِي الأَطْمَارِ جَـائِعَـةً يَغْزِلْنَ للنَاسِ لاَ يَمْلِكْنَ قَطْمِيـرَا

---

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1،1422هـ/ 2001م، ج2، ص 230.

[2]- محمد زغلول سلام ، مدخل إلى الشعر الجاهلي ، دراسة في البيئة والشعر ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص 178.

[3]- المعتمد بن عباد، الديوان، ص 101.

بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلْتَسْلِيـــــمِ، خَاشعَةً أَبْصَارَهُنَ ، حَسِيرَاتٍ مَكَاسِـــــيرَا

يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَ الأَقْدَامُ حَافِيَــةً كَأَنَهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًـــا وَ كَافُورَا[1]

فغرض الوصف من بين الأغراض الذي استعان به "المعتمد بن عباد" في استعطافه سواء لوالده أو لأمير المؤمنين "يوسف بن تاشفين" حيث وصف حالته التي آل إليها من عدم رضى والده عنه حتى كاد أن يفقد أنفاسه و وصف حالته وحالة بناته حينما كان في الأسر وكان الاستعطاف هذه المرة موجه إلى أمير المرابطين.

5- الرثاء:

يعد الرثاء من أصدق أنواع الشعر لأنه يصدر من قلوب جريحة تتلوى حزنا وألما[2]، وهو غرض آخر من الأغراض الشعرية التي لجأ إليها الشعراء في أشعارهم الإستعطافية و هذا اللون من الأغراض نجده عند "المعتمد بن عباد" في حال استعطافه "لابن تاشفين"- وكما سبق ذكره فقد استعطفه تلميحا لا تصريحا- حين حاول استمالة قلبه واستثارة عطفه بشتى الوسائل ، فحين انفضت المعركة، وخسر كل شئ إلا الشرف تطلع فإذا أبنائه الفتح و يزيد قتلى واحد في قرطبة والآخر في رندة ، حيث لم تتوقف "اعتماد الرميكية" و لا إخوانهم بكاء عليهم فصور لنا حاله وحال زوجه التي كان بغلبها الحزن، وتزجرها التقوى،وتذللها الذكرى، وتفزع للبكاء، وتصبر أحيانا أخرى[3] ، فيقول:(الطويل)

يَقُولُون صَبْرًا لاَ سَبِيلَ إِلَى الصَبْرِ سَأَبْكِي وَ أَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي

نَرَى زُهْرَهَا فِي مَأْتَمٍ كُــلَ لَيْلَـــــةٍ يُخَمِشْنَ لَهَفًا وَسْطَهُ صَـفْحَةَ البَــدْرِ

يَنُحْنَ عَلَى نَجْمَيْنِ أَثْكَلْـنَ ذَا وَذَا وَيَا صَبْرُ مَا لِلْقَلْبِ فِي الصَبْرِ مِنْ عُذْرِ

إلى قوله:

---

[1]- المصدر السابق ، ص 169.

[2]- ينظر: حكمت بشير الأسود، أدب الرثاء في بلاد الرافدين، دار الزمان ، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص 21.

[3]- ينظر: الطاهر أحمد مكى ، دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1987م، ص 239.

هَوَى الكَوْكَبَانِ: الفَتْحُ ثُمَ شَقِيقُــهُ يَزِيدُ فَهَـلْ بَعْــدَ الكَوَاكِبِ مِنْ صَبْرُ؟

أَفَتْحُ ! لَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ رَحْمَـةٍ كَمَـــا بِيَزِيدُ ،الله قَدْ زَادَ فِي أَجْـرِي

هَوَى بِكُمَا المِقْدَارُ عَنِي وَلَمْ أَمُتْ وَأَدْعِى وَفِيًّــا قَدْ نَكَصَتْ إِلَــى الغَدْرِ

إلى قوله:

مَعِي الأَخَوَاتُ الهَالِكَاتُ عَلَيْكُمَا وَ أُمَكُــمَا الثَكْلَـى المُضَرَمَةُ الصَدْرِ

تُذَلِلُهَا الِذكْــرَى فَتَفْـزَعُ لِلْبُكَــا وَتَصْبِرُ –فِي الاَحْيَان–شَحَا عَلَى الأَجْرِ

فَتَبْكِي بِدَمْعٍ لَيْسَ لِلْقَطْرِ مِثْلَهُ وَتَزْجُرُهَا التَقْوَى فَتُصْــغِي إِلَى الزَجْرِ [1]

و يرثي نفسه إذ تذكر منازله وبهجتها وفراقه عن القصور وخلوه من حراسه فيقول:

بَكَى المُبَارَكُ فِي إِثْرِ ابْن عَبَّـادٍ بَكَـى عَـلَى أَثَرِ غِزْلَانٍ وَ آسَادِ

بَكَتْ ثُرَيَّاهُ لاَ غُمَّــتْ كَـوَاكِبُهَــا بِمِثْلِ نَــوْءِ الثُرَيَّا الرَائِحِ الغَادِي

بَكَى الوَحِيدُ ، بَكَى الزَّاهِي وَقُبَّتَهُ وَالنَّهْرُ، وَالتَّــاجُ، كُـلُ ذُلُّهُ بَادِي

مَاءُ السَمَاءِ عَـلَى أَبْنَائِــهِ دُرَرُ يَا لُجَّةَ البَحْرِ دُومِـي ذَاتَ إِزْبَادِ [2]

فرثاء الشاعر على نفسه و رثاء أبنائه وحديثه عن آلامه و موازنة الحاضر بالماضي أي العز بالذل جعل المطّلع على أشعاره يلتمس حزن وأسى الشاعر ويتعاطف معه.

هذه الأغراض الشعرية ساعدت "المعتمد بن عباد" في استعطافه وتحقيق مآربه والوصول إلى هدفه وهذا من ناحية والده أما "ابن تاشفين" فلم ينفع معه الاستعطاف وأبقاه سجينا حتى وافته المنية في المنفى رغم أن "يوسف" كان معروفا بالتسامح وحسن معاملة الأسرى وحسن التدبر، ربما بدر منه ذلك لمجاهرة "المعتمد" لأمير المرابطين بالعصيان والتحالف مع الأعداء هذا ما جعله حاقدا عليه وعلى ملوك الطوائف بأكملها.

[1]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 163.

[2]– المصدر نفسه، ص 161.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

أولا: اللغة و الأسلوب

1_ اللغة

2_ الأسلوب

ثانيا: الصورة الشعرية

1_ الصورة البيانية

2_ الصور البديعية

ثالثا: الموسيقى الشعرية

1_ الموسيقى الخارجية

2_ الموسيقى الداخلية

انتهج الشعراء الأندلسيون في عصر ملوك الطوائف الأساليب الفنية القديمة التي سار عليها من سبقهم من شعراء الأندلس, فلم يكن الشاعر الأندلسي ليتجاوز في أساليبه الفنية الخصائص المألوفة في الشعر العربي، وقد كانت الظروف السياسية التي عاشها ملوك الطوائف من الأسباب التي دفعتهم إلى التمسك بدينهم وتراثهم بحكم انتمائهم إلى أهلهم في المشرق لكن هذا لا يعني أن شعر الطوائف كان خاضعا للتأثيرات المشرقية،بل إن هناك مؤثرات توضح انطباع هذا الشعر بطابع أندلسي مميز وأبرزوا ملامح الشخصية الأندلسية من خلال أشعارهم المستحدثة ، وقد دفعت الأوضاع غير المستقرة بشعراء الطوائف إلى الابتعاد عن شعر العبث والمجون والغزل والتوسع في موضوعات الزهد وشعر الجهاد وشعر السجون وشعر الغربة والحنين إلى الأوطان والأهالي.

و من هنا كان لا بد من دراسة الخصائص الفنية لهذا العصر مع المعتمد بن عباد بدءا بدراسة اللغة والأسلوب في شعره بالإضافة إلى دراسة الصورة الشعرية بأنواعها، وانتهاء بدراسة الموسيقى، وما تحتويه من إيقاع داخلي و خارجي.

أولا: اللغة و الأسلوب

إن اللغة و الأسلوب هما عماد الشعر والأساس الذي يقوم عليه ، حيث إن اللغة تعبر، والأسلوب يبرز ما في اللغة من معان ودلالات، لذا يلجأ الشعراء في التعبير عن تجاربهم الشعرية استعمال أفضل الألفاظ وصياغتها في أحسن أسلوب، ليكون لها تأثير على سامعيها.

1 اللغة:

تعد اللغة من أهم مكونات القصيدة « بواسطتها يعبر الشاعر عما يجيش في صدره من عواطف وانفعالات وما يجول في خلده من أفكار، فهي عبارة عن مجموعة من الألفاظ التي يتخيرها الشاعر ليؤدي بها غرضا ما »[1]، و إن « اللغة الشعرية تختلف اختلافا بينا عن اللغة في الحياة اليومية، إذ إن الشاعر حين يستخدمها فإنه ينفي عنها

[1]– حسن علي الحسين الدخيلي ، دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي ، دار حامد للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن،دط، دت، ص 56.

قيمتها العادية المعهودة، ويكسبها قيما جديدة، ويحاول بشتى الوسائل أن يبعدها عن ميدان النثر وعن قيمتها فيه، فينظمها بطريقة خاصة تختلف عن الاستعمال العادي لها،فيوسع أو يضيق من مدلولاتها »[1].

و من خلال هذا سنحاول التعرف أكثر على اللغة في شعر المعتمد بن عباد، وعلى أهم المميزات الشعرية التي انفرد بها عن غيره.

أ-اللغة الشعرية و الأثر الديني:

الدارس المتعمق للشعر الأندلسي يلحظ بشكل جلي أن القرآن الكريم كان مصدرا أساسيا من المصادر التي اعتمد عليها الشعراء الأندلسيون، و رافدا مهما في ثقافتهم،«لأن الشعر الأندلسي لا ينفصل عن التقاليد الموروثة في الشعر العربي العام،فهو يجري في الاتجاه نفسه و يشيع فيه هذا التيار الذي يصل بين الماضي والحاضر »[2]،وكان شاعرنا المعتمد بن عباد من الشعراء المتأثرين بتعاليم الدين الإسلامي لذلك كانت أشعاره تدل على ذلك وتثبت شخصيته وخاصة تلك الأشعار التي نظمها في أسره و التي توحي إلى الإيمان بالله و القضاء و القدر ويوم الآخر، فنجده يقول حين ألقي في السجن:(الكامل)

قَلْبِـــي إِلَى الرَّحْمَـــانِ يَشْكُو بَثَّهُ مَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَانِ[3]

شكا الشاعر أمره لله عز وجل و لا أحد سواه، وقد استخدم ألفاظا استوحاها من القرآن الكريم منها تلك التي نظمها في استعطاف والده و وصف حالته وسوء عيشه فيقول:(مجزوء البسيط)

لَوْ صَوَرَ الله المَعَالِي جَمًّا لَأَصْبَحْتَ فِيهِ رُوحَا [4]

---

[1]- عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي" نقد وتفسير ومقارنة"، دار الفكر العربي، دب، دط، 2000م، ص 297.

[2]- محمد شهاب العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح و حتى سقوط الخلافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2002م، ص 14.

[3]- المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 183.

[4]- المصدر نفسه، ص41.

ويقول:(البسيط)

وَ اْزُجُرْ جُفُونَكَ لاَ تَرْضَ البُكَاءَ لَهَا ! وَاصْبِرْ فَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ الخَطْبِ تَصْطَبِرُ[1]

والمعجم القرآني في هذين البيتين في الكلمتين:(جمّا، تصطبر)، فلفظة "جمّا" من الآية الكريمة: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا ۝٢٠ جَمًّا﴾[2] ، أي حبّا شديدا وقويا، و لفظة "تصطبر" من الآية الكريمة : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾[3] .أي تعويد النفس على الصبر.

كما وظف أيضا المعجم القرآني في قوله: :(البسيط)

فَالنَفْسُ جَازِعَة وَالعَيْنُ دَامِـعَـــةً وَ الصَوْتُ مُرْتَفَعٌ وَالسِرُّ مُنْتَشِرُ

وَ زَادَ هَمِي وَ مَا بِالجِسْمِ مِنْ سَقَمِ وَشِبْتُ رَأْسًا وَلَمْ يَبْلُغَنِي الكِبَـرُ[4]

فاللفظ القرآني الوارد في هذا البيت هو قوله: "وَشِبْتُ رَأْسًا وَلَمْ يَبْلُغَنِي الكِبَرُ"وهو استنادا لقوله تعالى في سورة مريم في الآيتين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ ﴾[5]،﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[6] .

فالآيتان خصتا بزكرياء عليه السلام إذ تمنّى أن يكون له ولد وهبه سبحانه وتعالى بولد اسمه يحيى بعد أن شاب رأسه و بلغ الكبر، و كذلك المعتمد بن عباد فقد بلغ الكبر وشاب رأسه وهو في ريعان شبابه من الحال التي فيها دون رضى والده، فصورة زكريا عليه السلام استوحاها المعتمد وأدرجها في شعره.

---

[1]- المصدر السابق، ص 96.

[2]- الفجر، 20.

[3]- مريم، 65.

[4]- المصدر نفسه، ص 101.

[5]- مريم، 4.

[6]- مريم، 8.

ب_ اللغة الشعرية بين البساطة و الدقة والوضوح:

تعد اللغة الشعرية الأندلسية أكثر وضوحا وبساطة بمقارنتها مع العصور الأخرى حيث «مال الشعراء الأندلسيون إلى استخدام الألفاظ السهلة الواضحة البعيدة عن التعقيد والغرابة– و الوحشية و غيرها من الصفات التي لا تخل بفصاحة الكلمة »[1]، و« لقد دلت ألفاظ الشعر الأندلسي على ذوق سليم في الاختيار وسعة في لين الكلام، وجزالة اللفظ،وإن كانوا يختارون أحسن الألفاظ وقعا على السمع، و أدعاها إلى تصوير الجمال،وإيقاظ النفوس، وإثارة العواطف مما يناسب الموضوعات التي كانوا يذكرونها في شعرهم »[2].

و المتطلع لشعر المعتمد بن عباد يجد شعره لا يختلف على ميزة الشعر الأندلسي من بساطة ألفاظ و وضوح في معاني ، حيث يفهمها المثقف والعامي، فهي ألفاظ نابعة من إحساسه الحقيقي، ومن مشاعره الصادقة، لذلك لم يكن بحاجة إلى التصنع والتكلف والمبالغة أو الاستتار وراء الأقنعة للوصول إلى هدفه فكل أشعاره كانت تعبر عن صدق عاطفته وخير مثال على بساطة لغته ووضوحها قصيدته التي رثا بها ابنيه:(الطويل)

هَوَى الكَوْكَبَانِ: الفَتْحُ ثُمَ شَقِيقُــهُ يَزِيدُ فَهَـلْ بَعْــدَ الكَوَاكِبِ مِنْ صَبْرُ؟

أَفَتْحُ ! لَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ رَحْمَـةٍ كَمَـــا بِيَزِيدُ ،الله قَدْ زَادَ فِي أَجْـرِي

هَوَى بِكُمَا المِقْدَارُ عَنِي وَلَمْ أَمُتْ وَأَدْعِـى وَفِيًّــا قَدْ نَكَصَتْ إِلَـــى الغَدْرِ

إلى أن يقول:

مَعِي الأَخَوَاتُ الهَالِكَاتُ عَلَيْكُمَــا وَ أُمَكُـــمَا الثَّكْلَــى المُضَرَمَــةُ الصَدْرِ

تُذَلِلُهَا الِذكْــرَى فَتَفْــزَعُ لِلْبُكَــا وَتَصْبِرُ –فِي الاَحْيَان–شَحَا عَلَى الأَجْرِ

[1]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ، مصر، دط ، 1939م ، ج1، ص 168.

[2]– إبراهيم أبو خشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 155.

فَتَبْكِي بِدَمْعٍ لَيْسَ لِلْقَطْــرِ مِثْلَهُ وَتَزْجُرُهَا التَقْوَى فَتُصْـــــغِي إِلَى الزَجْرِ[1]

فهذه القصيدة رغم ما تحمله من معاني الحزن و الألم وتحسر لفقدانه ابنيه، إلا أنا نلاحظ أنه استعمل ألفاظا عادية مفهومة بسيطة مثل: (هوى الكوكبان، الهالكات، تذللها، البكاء،تبكي، دمع، نزجرها...).

و القارئ لشعر هذا الشاعر يتضح له ثراء شعره بالمعجم القرآني والألفاظ الإسلامية بالإضافة إلى السمات المميزة فيه من بساطة ووضوح ودقة.

2_ الأسلوب:

طالما دارت كلمة (الأسلوب) في كتابات النقاد و دارسي الأدب في تنظيرهم وتطبيقاتهم على النصوص ، وطالما ذكرها البلاغيون المحدثون في أطروحاتهم البلاغية الجديدة ورؤاهم المعاصرة ، وقد عرفه الكثير من النقاد: «بأنه الطريقة التي يتبعها الأديب في اختيار الألفاظ ورصفها في عبارات وتراكيب جميلة يعبر فيها عن أفكاره وعواطفه»[2].

و المتصفح لشعر المعتمد بن عباد يرى أن أسلوبه لا يختلف عن غيره من شعراء عصره إذ يبرز في شعره ظواهر منها:

أ_ شيوع الأسماء:

تعد الأسماء من الظواهر الأسلوبية التي يميز بها المعتمد بن عباد فللاسم هو« لفظ يدل على إنسان أو حيوان أو نبات أو شيء جامد» [3] ، و تأتي ظاهرة شيوع الأسماء في مقدمة الظواهر الأسلوبية في شعره و من بين هذه الأسماء هو توظيفه لبعض أسماء الحسرة والألم، فيقول في وصف بناته : (البسيط)

بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلْتَسْلِيـــــمِ، خَاشعَةً أَبْصَارَهُنَ ، حَسِيرَاتٍ مَكَاسِـــــيرَا

[1]– المعتمد بن عباد، ديوان ، ص 163.

[2]– حميد آدم ثويني، فن الأسلوب، دراسة تطبيق عبر العصور، دار الصفاء ،عمان، الأردن, ط1،2006م ، ص 73.

[3]– بوعلام بن حمودة، مكشفات الأسماء، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2002م، ص7.

يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَ الأَقْدَامُ حَافِيَــةً كَأَنَهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًـــا وَ كَافُورَا[1]

وقال أيضا في رثاء نفسه (الكامل)

المُلْكُ لَا يُبْقِى عَلَى أَحَدٍ وَ المَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدًا [2]

و قال في أبيات يوازن فيها بين الماضي والحاضر فيقول: (البسيط)

فِي الله مِنْ كُلِ مَفْقُودِ مَضَى عَوَضَ فَاشْعُرْ القَلْــبَ سِلْوَانَـــا وَ إيمَانَا [3]

ويقول في استعطاف والده :(البسيط)

فَالنَفْسُ جَازِعَة وَالعَيْــنُ دَامِعَـــــةً وَ الصَوْتُ مُرْتَفَعٌ وَالسِـــــرُّ مُنْتَشِرُ[4]

ويقول أيضا:(البسيط)

وَ إنْ تَكُن خَيْبَةٌ فَي الدَهْرِ وَاحِدَةٌ فَكَمْ غَدَوْتَ وَمِنْ أَشْيَاعُكَ الظَّفْــرُ[5]

وهكذا يتضح لنا أن الشاعر ركز كثيرا في توظيفه للأسماء وفي معظم أغراضه الشعرية من استعطاف و رثاء ... راجع إلى رغبته في أن يكسب شعره نوعا من المصداقية والواقعية لدى القارئ، وهذه الأسماء(تسليم، خاشعة، الطين، الأقدام، حافية، مسكا، كافورا، الملك، أحد، الموت، أحدا، النفس، جازعة، العين، دامعة، الصوت، السّر ،خيبة، الدهر، واحدة، الظّفر) تدل على الحزن والأسى التي يمر بها الشاعر كما تدل على ثبات الألم في نفسيته.

---

[1]– المعتمد بن عباد، ديوان، ص 169.

[2]– المصدر نفسه ، ص 148.

[3]– المصدر نفسه ، ص 192.

[4]– المصدر نفسه ، ص 101.

[5]– المصدر نفسه ، ص 100 .

ب_ التكرار:

يعد التكرار من الظواهر الأسلوبية الثانية التي كان لها حضور في شعر المعتمد بن عباد **و** التكرار « هو أسلوب يقوم على إعادة استخدام كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها"[1]، أما السيوطي فيقول: " ومن سنن العرب التكرير والإعادة »[2].

و من أنماط التكرار الذي ورد في شعره :

_ **تكرار كلمة** : وقد غلب تكرار الكلمة على أسلوب الشعراء قدامى ومحدثين « لاعتباره محاولة لخلق إيقاع مغاير في القصائد، بالإضافة إلى أنه يفيد التأكيد على المعنى المراد لتقويته وتثبيته في ذهن السامع، ولهذا ورد تعريفه عند القدماء لا يخرج عن هذا الإطار».[3]

يقول الشاعر في استعطاف والده: (البسيط)

كَمْ يَأْتِي عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَـحِقُ بِـهِ عُتْبى، وَ هَاهُو قَدْ نَـــادَاكَ يَعْتَذِرُ

وَمَا الذَنْبُ إلاّ عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغْلٍ وَفَى لَهُمْ عَهْدُكَ المَعْهُودُ إذْ غَدَرُوا[4]

و التكرار الوارد هنا في لفظتي (ذنبا،الذّنب) ،وهما لفظان متناسبان في الدلالة مختلفان في النطق و كانا هذا التكرار ناتجا عن الخطأ الذي وقع فيه والذي لم يكن خطأ مقصودا لذلك كان المعتمد ينفي التهمة و الذنب على نفسه .

وجاء تكرار لفظ أيضا في قوله:

رِضَاكَ رَاحَةُ نَفْسِي ! لَا فَجُعَتْ بِهِ فَهُوَ العَتَـادُ الذِي لِلدَّهْـرِ أَدَخِـــرُ

---

[1]– محمد مصطفى أبو شوارب، جماليات النص الشعري " قراءة في أمالي القالي"، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2005م، ص 163.

[2]– جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، ، دت، ج1، ص 332.

[3]–فاطمة دخية: بنية الخطاب الاستنجادي في الشعر الجزائري القديم، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم ، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1427–1428هـ/ 2006–2007م،(مخطوط)، ص 126.

[4]– المعتمد بن عباد ، الديوان ، ص 102.

وَ هُوَ المَدَامُ التِـي أسْلُوا بِها فإذَا عَدَمْتَـهَا عَبَثَتْ فِـــي قَلْبِيَ الفِكْـرُ

مَا تَرَكَنِي الخَمْرُ مِنْ زُهْدً وَلا وَرَعٍ فَلَمْ يُفَارِقْ– لِعُمْرِي– سِنِّي الصِغَرُ

وَ إِنَّمَا أنَا سَــاعٍ فِي رِضَاكَ فَــإِنْ أخْفَقْتَ فِيهِ، فَلَا يَفْسَحُ لِــيَ العُمْرُ [1]

و الشاعر في هذه الأبيات كرّر لفظة (رضاك) مرتين، وهذا فيه تأكيد على مدى السعي وراء رضا والده و العفو عنه .

ومن التكرار أيضا قوله: (مجزوء الكامل)

قَالُوا: الخُضُوعِ سِيَاسَة فَلْيُبْدِدْ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ

وَأَلَذُ مِنْ طَعْمِ الخُضُو عِ عَلَى فَمِ - ي السُمُّ النَقِيعُ [2]

النَقِيعُ [2]

فالتكرار في هذه الأبيات جاء متعددا إذ تكررت لفظة (الخضوع) ثلاث مرات إذ عكست شخصية المعتمد بن عباد القوية و التي تأبى الإستسلام و وعدّ التراجع عن موقفه خضوعا لا يجدر أن يتصف به ، ومن هنا يفضل المعتمد الموت الذي يرى فيه كل الشرف.

وجاء التكرار كذلك في قوله: (البسيط)

بَكَى المُبَارَكُ فِي إِثْرِ ابْــن عَبَّــادٍ بَكَى عَلَى أَثَرِ غِزْلَانٍ وَ آسَادِ

بَكَتْ ثُرَيَّاهُ لاَ غُمَّــتْ كَــوَاكِبُهَــا بِمِثْلِ نَوْءِ الثُرَيَّا الرَائِحِ الغَادِي

بَكَى الوَحِيدُ ، بَكَى الزَّاهِي وَقُبَّتَــهُ وَالنَّهْرُ، وَالتَّاجُ، كُلُ ذُلُّهُ بَادِي

مَاءُ السَمَاءِ عَــلَى أَبْنَائِــهِ دُرَرُ يَا لُجَّةَ البَحْرِ دُومِي ذَاتَ إِزْبَادِ [3]

[1]– المصدر السابق، ص 102.

[2]– المصدر نفسه، ص 150.

[3]– المصدر نفسه، ص 161.

إذ تكررت لفظة (بكى) أربع مرات مما يوحي إلى انفطار قلب الشاعر وحزنه الشديد مما أدى إلى حزن حتى الجامد عليه فالمبارك والوحيد والزاهي هي أسماء لقصوره.

ويستمر المعتمد على نهجه في التكرار، حتى يكون سمة بارزة، لا يخلو منها أي بيت من أبياته تقريبا، و من أمثلة ذلك قوله:(الكامل)

قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بَثَّهُ مَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَان

يَا سَائِلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عِنْ شَأْنِي[1]

فلفظة (يشكو) المكررة في البيت الأول مرتين دالة على الحزن والألم، ولفظة شأنه وشأني دالة على أن أمره وحزنه ليس بيده لذا فإن شكواه من شئ لم يصنعه .

و بالتالي فإن تكرار الكلمة يمنح القصيدة نغمًا موسيقيًا، ويمنح النص صلابة وقوة بسبب ذلك الترديد، وله تأثير كبير على المعنى وتثبيته في ذهن السامع

وعلى العموم، فإن الشاعر استطاع أن يعبر عن دفقاته الشعورية، وحالاته النفسية بلغة راقية ،وأسلوب جميل أثر من خلاله على القارئ، كما أنه لم يخرج عن اللغة والأسلوب لدى السابقين له، إلا أنه ما يميزه عن غيره هو تشبعه بتعاليم الدين الإسلامي و الثقافات الإسلامية بالإضافة إلى الرداء المأساوي الذي أضافه على شعره وهو أسيرا.

ثانيا: الصورة الشعرية

الصورة الشعرية مصطلح تناوله العديد من النقاد قديما وحديثا فقديما كان ينظر إليها من منظور بلاغي من حيث هي تشبيه و استعارة، واعتبرت وسيلة لتقريب المعنى نتيجة ربط الشاعر المعنوي بالمحسوس لإيصال المفاهيم إلى المتلقي، ويعرفها "أحمد الزّيات" بقوله: « والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي، أو الحسي في صورة محسة، وهي خلق المعنى والأفكار المجردة، أو الواقع الخارجي من خلال النفس خلقا جديدا »[2]. والقارئ

[1]– المصدر السابق، ص 183 .

[2]– أحمد حسن الزّيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، دب، ط2، 1967 م ، ص 62.

لشعر المعتمد بن عباد يجد أن الصور البيانية هي أكثر الأجزاء المكونة لشعره بالإضافة إلى بعض الصور البديعية التي أضفت جمالا فنيا وموسيقيا على خصوصية التجربة الشعرية و الشعورية لدى الشاعر.

1_ الصورة البيانية:

بسم الله الرحمان الرحيم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1]، فالبيان هو « الفصاحة واللّسن ، أو إظهار المقصود بأبلغ لفظ»[2]،ويعرفه "الخطيب القزويني" بأنه علم « يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مختلفة في وضوح الدلالة عليه »[3]، « وكلمة علم تعني أن البيان له قواعد وأصول تحكم مسيرته وتوجه فهمه »[4].

ومباحث علم البيان هي: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، وسنتناول في دراستنا الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية واللّتين كانتا لهما حضور بارز في شعر المعتمد بن عباد.

أ_ الصورة التشبيهية:

يعد التشبيه من الظواهر التي كان لها حضور في شعر المعتمد فالتشبيه هو «عبارة عن علاقة تجمع بين طرفين، لاشتراك بينهما في الصفة نفسها، أو في الحكم لها

---

[1]- الرحمان، 1-4.

[2]- محمد علي زكي صبآغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، ط 1، 1998م، ص 231.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دط، دت، ص 216.

[4]- ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ابن خلدون للنشر والتوزيع، دط، 2004م، ص 42.

ومقتضى»[1]، و يعرفه أبو هلال العسكري بقوله: « لا يصح تشبيه الشئ بالشئ جملة،ولو أشبه الشئ بالشئ من جميع الجوانب لكان هو هو»[2] .

وكان للتشبيه حضور في شعر المعتمد ين عباد من ذلك قوله: من (مجزوء الكامل)

قَالُوا: الخُضُوعُ سِيَاسَةٌ فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خُضُوعُ [3]

في هذا البيت شبّه الخضوع بالسياسة و هو تشبيه مفرد.

ويقول: (الكامل)

قَدْ كَانَ كَالثُّعْبَانِ رُمْحُكَ فِي الوَغَى فَغَدَا عَلَيْكَ القَيْدُ كَالثُّعْبَانِ[4]

يشبه الرمح بالثعبان، ويشبه القيد الذي التوى على قدميه وكأنه ثعبان في التوائه وقوته،وهو تشبيه صريح يكون المشبه به معرفة لا نكرة.

ويقول:(السريع)

دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَ اللَحْمُ قَدْ أَكَلَتْهُ، لاَ تُهشِمِ الأَعْظُمَا ![5]

و هذا تشبيه بليغ إذ حذف أداة التشبيه وشبّه دمه بالشراب عند القيد الذي جعل من دم ولحم الشاعر أكل وشراب له ويطلب منه أن لا ينتقل إلى الأعظم فيهشمها.

فللتشبيه روعة وجمال، لإظهاره الخفي، وتقريبه البعيد، ويكسب المعاني رفعة ووضوحا،ويدفع الخيال إلى التحليق لجلاء الصورة واستقصاء ملامحها الغامضة ، وما الأمثلة السابقة إلاّ قطرة من بحر، وهذا لنفسح المجال لظاهرة فنية أخرى لا تقل حضورا من سابقتها وهي ظاهرة الاستعارة .

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 3، 2001م، ص 76.

[2]– أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق: مفيد قميحة، مطبعة دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان، ط1981،2م، ص 239.

[3]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 150.

[4]– المصدر نفسه، ص 183.

[5]– المصدر نفسه ، ص 181.

ب_الصورة الاستعارية:

تعد الاستعارة إلى جانب التشبيه عنصرا مهما في بناء العمل الشعري عند المعتمد بن عباد وهي« من أهم الأساليب البيانية تعبيرا، وأجملها تصويرا وأكملها تأدية من مفاجأة للمعنى، فهي منبثقة عن تشبيه مضمر في النفس، فيحذف أحد طرفيه ويكون أحد طرفيه عين الآخر»[1].

ومن خلال هذا سنحاول دراسة بعض الصور الاستعارية الواردة في شعر المعتمد بن عباد، ومن الاستعارات الواردة في شعره قوله:(مجزوء الكامل)

شِيَمُ الأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَ الأَصْلُ تَتْبَعُهُ الفُرُوعُ [2]

و الشطر الثاني مثَل يقال لمن كان شريفا، وانحدر من نسب شريف، والمعتمد يرى نفسه من هذا النسب الذي يفخر به على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ومن الصور الاستعارية الواردة في شعره قوله: (مجزوء الكامل).

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُّمُوعُ وَتَنَبَّهَ القَلْبُ الصَّدِيعُ [3]

وهنا التشبيه جاء على سبيل الاستعارة المكنية إذ يشبه الدموع بالإنسان الذي يتماسك،كما يشبه القلب بالإنسان الذي يتنبه, فحذف المشبه به وأبقى بعض لوازمه وهو(التماسك والتنّبه)، ومن الأمثلة على ذلك قوله: (الكامل)

الشَّمْسُ تَخْجَلُ مِنْ جَمَالِكَ فَتَغِيبُ مُسْرِعَةً لِذَلِكَ [4]

هنا شبه الشمس بالإنسان حذف المشبه به وهو الإنسان وترك لازم من لوازمه هو الخجل والذي هو من صفة الإنسان على سبيل الاستعارة المكنية.

بَكَى المُبَارَكُ فِي إِثْرِ ابْن عَبَّادٍ بَكَى عَلى أَثَرْ غِزْلَانٍ وَ آسَادِ [1]

آسَادِ [1]

---

[1]– فهد خليل الزايد، البلاغة بين البيان و البديع، دار يافا العلمية ،عمان، الأردن، ط1، 2009م، ص89.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 151.

[3]– المصدر نفسه ، ص 150.

[4]– المصدر نفسه ، ص 94.

شبه المبارك بالإنسان إذ حذف المشبه به وهو الإنسان و ترك لازم وهو بكى والذي هو من صفة الإنسان لا الجامد، والمبارك هو اسم لقصر من قصوره إذ حزن وبكى لفقدان أميره .

و الأمثلة على الاستعارة المكنية كثيرة، وهذا يدل على براعة الشاعر وقدرته على تحقيق عنصر التشويق في شعره مما يخلق فيه عالما خيالا مليئا بالتساؤلات يصل به إلى تحقيق لذة النص وجماله.

2 الصورة البديعية:

إلى جانب الصور البيانية، توجد صور بديعية لا تقل أهمية عنها لأن البديع هو: «علم تُعرف به وجوه تحسين الكلام، من حيث الألفاظ ووضوح الدلالة على نحو يكسب التعبير الشعري طرافة و جدة »[2].

و ينقسم علم البديع إلى قسمين: محسنات معنوية مثل الطباق و المقابلة، ومحسنات لفظية مثل السجع والجناس، و على هذا ستناول أهم المحسنات البديعية التي وردت في شعر المعتمد بن عباد و أكثرها استخداما.

أ_ الطباق :

يعد الطباق من الصور البديعية البارزة في شعر المعتمد بن عباد ، فهو « الجمع بين الضدين أو بين الشئ و ضده في الكلام أو بيت شعري»[3].

و من الطباق الذي ورد في شعر المعتمد بن عباد قوله:

شِيَمُ الأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَ الأَصْلُ تَتْبَعُهُ الفُرُوعُ [4]

فالطباق في هذا البيت جاء بين: (الأصل، الفرع).

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 161.

[2]– فهد خليل زايد، البلاغة بين البيان والبديع، ص 89.

[3]– ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ص 362.

[4]– المعتمد بن عباد ، الديوان ، ص 151.

وقوله أيضا : (البسيط)

يَطَأْنَ فِي الطِينِ وَ الأَقْدَامُ حَافِيَةً كَأَنَهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكًا وَ كَافُورَا [1]

كَافُورَا [1]

طابق الشاعر بين: (يطأن، لم تطأ) و بين: (الطين، المسك والكافور).

وقوله أيضا: (الكامل)

الشَّمْسُ تَخْجَلُ مِنْ جَمَالِكَ فَتَغِيبُ مُسْرِعَةً لِذَلِكَ

وَ الغَيْثُ يَحْيَا أَنْ يَصُو بَ لِمَا يَرَاهُ مِنْ نَوَالِكَ

وَالبَدْرُ يَطْلَعُ نَاقِصًا حَتَى يُتَمِمَ مِنْ كَمَالِكَ [2]

فالطباق جاء بين: (تغيب، يطلع).

وقوله أيضا: (البسيط)

وَمَا الذَنْبُ إلاّ عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغْلٍ وَفَى لَهُمْ عَهْدُكَ المَعْهُــودُ إذْ غَدَرُوا

قَوْمٌ: نَصِيحَتَهُمْ غِشٌ، وَصِدْقَهُــمْ مَيْنٌ، وَ نَفْعَهُمْ، إذَا صَرَفُوا، ضَــرَرُ

يُمَيِزُ البَغْضُ فِي الأَلْفَاظِ إنْ نَطَقُوا وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ إنْ نَظَرُوا [3]

ورد الطباق في هذه الأبيات بين: (وفى، غدروا) وبين: (نفعهم، ضرر).

وقوله:

تَسَخّطــكَ المُمِض أَعَــلَّ نَفْسِي وَ مَا لِــي غَيْــرُ عَفْــوُكَ مِنْ طَبِيبِ [4]

الطباق جاء في هذا البيت بين: (تسخطك، عفوك).

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 169.

[2]- المصدر السابق ، ص 94.

[3]- المصدر نفسه ، ص 102.

[4]- المصدر نفسه ، ص 98.

يعد الطباق من الصور البديعية والمحسنات المعنوية والتي كان لها حضور واسع في شعر المعتمد بن عباد.

ب_ الجناس :

يعد الجناس الظاهرة البديعية الثانية والبارزة في شعر المعتمد بن عباد فالجناس «هو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقا،المختلفان معنى يسميان ركني الجناس و لا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما تعرف به المجانسة »[1].

و من قول المعتمد بن عباد في الجناس قوله: (البسيط)

فَالنَفْسُ جَازِعَة وَالعَيْنُ دَامِـعَـةً وَ الصَوْتُ مُرْتَفَعٌ وَالسِرُّ مُنْتَشِـــرُ[2]

جانس المعتمد في هذا البيت بين : (جازعة ، دامعة) وهو جناس ناقص.

وقوله أيضا: (البسيط)

يُمَيِزُ البَغْضُ فِي الأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ إِنْ نَظَرُوا [3]

فالجناس ورد بين : (الألفاظ ، الألحاظ)، وهو جناس ناقص.

وقوله أيضا : (المتقارب)

وَ يَوْمَ العُرُوبَـــةِ ذُدتْ العِــدَى نَصَرْتَ الهُـــدَى وَ أبيَتْ الفـــرَارَا[4]

في هذا البيت ورد الجناس بين: (العدى، الهدى).

وكذلك قوله: (البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا [1]

---

[1]– ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ص 429.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 101.

[3]– المصدر نفسه ، ص 102.

[4]– المصدر نفسه ، ص 159, 160.

وهنا جانس بين: (مسرورا، مأسورا).

وقوله: (البسيط)

في الله مِنْ كُلِ مَفْقُودِ مَضَى عَوَضَ فَاشْعُرْ القَلْـبَ سِلْـوَانَا وَ إيمَـانَا[2]

وقوله أيضا: (مجزوء الكامل)

لله دَرْ أَبِي السِنَان مِنْ فَارِس شَهْم الجَنَانْ [3]

جانس بين : (السنان، الجنان).

فالجناس يعد أحد فنون البديع وهو ظاهرة موسيقية مميزة في الشعر، وله قيمة وظيفية تخدم المضمون، وقيمة موسيقية تطرب الآذان والأسماع، والملاحظ أن الشاعر ركز على الجناس الناقص بدل الجناس التام .

وبعد هذا التناول لأنواع الصور البيانية لدى الشاعر المعتمد بن عباد نستطيع القول بأن الشاعر قد استعان بالألوان التصويرية المختلفة من تشبيه واستعارة باعتبارها عناصر أساسية في تشكيل صورة فنية، حيث كانت هذه الصور وسيلة جوهرية من وسائل التعبير عن أفكاره ومشاعره ، وهناك صور أخرى لجأ إليها المعتمد في تصويره وهي الصور البديعية التي ألبست نصوصه الشعرية ثوبا جميلا، وأضفت عليها نغما موسيقيا رائعا، ساهم إلى حد بعيد في تكوين الموسيقى الشعرية.

[1]– المصدر نفسه ، ص 169.

[2]– المصدر نفسه، ص 192.

[3]– المصدر نفسه ، ص 94.

ثالثا: الموسيقى الشعرية

تعد الموسيقى الشعرية الفيصل الوحيد بين الشعر والنثر بركنيها الأساسيين الوزن و القافية وتجعل عملية التلقي أسهل، حيث تجذب المتلقي وتدخله في عالم الشعر ومن ثم يسهل عليه فيما بعد التفاعل مع أفكار الشاعر وانفعالاته.

و لأن الصورة الشعرية على هذه الأهمية سنحاول من خلال الصفحات القادمة التعرف على معالمها عند المعتمد متطرقين في ذلك إلى جانبين: الموسيقى الداخلية و الموسيقى الخارجية.

1_ الموسيقى الداخلية:

«بالموسيقى الداخلية نتعرف على روح الشاعر وعلى مقدرته الفنية التي صبها في قصيدته »[1].

ومن هنا سنحاول الكشف عن خصائص الموسيقى الداخلية عند الشاعر، وذلك بالاعتماد على إخضاع بعض العلل والزحافات في شعره والتحليل والتعرف على مدى قدرتها على تنويع الإيقاع, وكذا ظاهرة التصريع.

أ_ الزحافات والعلل:

---

[1]– حسن علي الحسين الدخيلي، دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، ص 79.

* السبب في الغة : هو الحبل، وفي العروض سببان خفيف وثقيل، الخفيف : متحرك بعده ساكن مثل: بل ← /0، والسبب الثقيل: متحركان مثل: بك ← //.

** الوتد في اللغة خشبة تغرس في الأرض تربط بها الحبال (الأسباب) لتثبيت بيت الشعر، وهو في العروض وتدان: وتد مجموع و يكون متحركان بعدهما ساكن مثل: على ← //0، والوتد المفروق يكون متحركان بينهما ساكن مثل: قال← /0/ .

الزحاف هو عبارة عن « تغيير يطرأ على ثواني الأسباب* دون الأوتاد** ، وهو يصيب التفعيلة سواء أكانت في حشو البيت أو عروضه أو ضربه، أما العلة فهي تغيير يطرأ على الأسباب والأوتاد معا في التفعيلة أو الجزء ، وهو ما يدخل فقط على العروض والضرب ولا يدخل على الحشو »[1].

ومن هنا سنحاول الكشف عن أهم الزحافات والعلل في شعر المعتمد بن عباد:

_ زحاف الخبن:

زحاف الخبن هو: « حذف الثاني الساكن من التفعيلة »[2] ، وفي هذا يقول المعتمد بن عباد:(البسيط)

وَاْزُجُرْ جُفُونَكَ لاَ تَرْضَ البُكَاءَ لَهَا وَاصْبِرْ فَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ الخَطْبِ تَصْطَبِرُ[3]

0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

في هذا البيت حذف الحرف الثاني الساكن من التفعيلات وهو (الألف) إذ إن فاعلن أصبحت: فعلن، وهو ما يسمى بزحاف الخبن.

_ زحاف القبض:

وهو « حذف خامس الجزء الساكن التفعيلة الخامسة »[4]، نلحظ هذا الزحاف في البحر الطويل مثل قول الشاعر:

يَقُولُون صَبْرًا لاَ سَبِيلَ إِلَى الصَبْرِ سَأَبْكِي وَ أَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي[5]

---

[1]– سليمان معوض، علم العروض وموسيقى الشعر، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، دط، دت، ص 16.

[2]– ابراهيم الربيعي و آخرون، المقتضب في علوم اللغة العربية، نحو وصوف ، بلاغة، عروض، الرضا للنشر والتوزيع ، باتنة، الجزائر، ط1، 1994م، ص 98.

[3]– المعتمد بن عباد ، الديوان، ص 99 .

[4]– حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي، ص 37.

[5]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 163.

0/0// //0/0/0// //0/ 0/0/0// 0/0// //0/0/0// //0/ 0/0/0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

في هذا البيت حذف الخامس المتحرك من التفعيلة وهو (النون) إذ إن فعولن أصبحت: فعول، وهو ما يسمى بزحاف القبض، وكذلك سقوط الياء من (مفاعيلن) فتصبح (مفاعلن) يكون أيضا مقبوض.

_ زحاف العصب:

هذا النوع من الزحاف يكون بـ« تسكين الخامس المتحرك »[1] ، يقول الشاعر: (الوافر)

أَيَا مَلِكًا يَجِلُّ عَنِ الضَّرِيبِ وَمَنْ يَلْتَذُّ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ[2]

0/0// 0///0// 0///0// 0/0/0// 0/0/0// 0/0//

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلْتن مفاعلْتن فعولن

في عجز هذا البيت تسكين الخامس المتحرك من التفعيلتين (مفاعلتن) ، حيث أصلها مفاعلَتن فأصبحت: (مفاعلْتن)، وهذا هو زحاف العصب الذي يقوم بتسكين الخامس المتحرك.

ب_ التصريع:

هو : «عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت، وآخر جزء من عجزه في الوزن والروي»[3] ، ويكون بكثرة في مطالع القصائد.

و مثال ذلك ما ورد في مطلع قصيدة المعتمد بن عباد :

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا[4]

[1]– محمد نصر الدوكالي، جامع الدروس العروضية والقافية , منشورات ELGA فاليتا، مالطا، دط، 2001م، ص 27.

[2]– المعتمد بن عباد ، الديوان، ص 98.

[3]– ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ص 450.

[4]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 169.

كما صرع أيضا في القصيدة التي هجا فيها الأعداء، و التي يقول فيها:

يُمَيِزُ البَغْضُ فِي الأَلْفَاظِ إِنْ نَطَقُوا وَيُعْرَفُ الحِقْدُ فِي الأَلْحَاظِ إِنْ نَظَرُوا[1]

ويقول أيضا:

المُلْكُ لَا يُبْقِى عَلَى أَحَدٍ وَ المَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدًا [2]

ويقول أيضا:

سَكَنَ فُؤَادَكَ لَا تَذْهَبْ بِكَ الفِكْرُ مَاذَا يُعِيدُ عَلَيْكَ البَثُّ وَالحَذَرُ

إلى قوله:

وَ إِنْ يَكُنْ قَدْرٌ قَدْ أَعَاقَ مِنْ وَطَرِ فَلَا مَرَدَ لِمَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ[3]

وهكذا نلاحظ أن المعتمد بن عباد قد اعتمد على التصريع في شعره لأنه يضفي على القصيدة نغما موسيقيا كما يدل على الثروة اللغوية لدى الشاعر وبراعته في التعبير ،ويحقق للبيت الشعري التوافق والتواصل بين الشطرين.

و بعد عرض بعض الجوازات الشعرية التي وردت في شعر المعتمد بن عباد الاستعطافية نرى أن الشاعر قد نوع الإيقاع في شعره وتوظيفه بما يناسب الحالة النفسية التي كان يعيشها، مما زاد شعره نغما موسيقيا خاصا.

2_ الموسيقى الخارجية:

و يقصد بها الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضي، والتي تمثل قواعد أصلية يخضع لها كل الشعراء، و بالتالي فهي قاعدة مشتركة يبنى عليها النص الشعري،متمثلة في مستويين إيقاعيين هما الوزن والقافية.

أ_ الوزن:

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 102.

[2]- المصدر نفسه ، ص 148.

[3]- المصدر السابق ، ص 96 .

يعرفه "ابن رشيق" بقوله: « الوزن أعظم أركان حد الشعر، و أولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية و جالب لها ضرورة »[1]، وقد التزم شعراء العرب منذ القدم، بما جاء به "الخليل بن أحمد الفراهيدي" ، الذي استطاع أن يحصر أوزان الشعر العربي في خمسة عشر بحرا ، ثم جاء بعده "الأخفش" فتدارك عليه وزنا آخر سماه (المتدارك) فأصبحت بحور الشعر العربي ستة عشر بحرا"[2]، و هي: الطويل، المديد، البسيط، الوافر، الكامل، الهزج، الرجز، الرمل، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث، المتقارب، المتدارك(المحدث) ، وعلى هذا الأساس فقد كان توزيع البحور في الأشعار الاستعطافية لشعر المعتمد بن عباد في كمها ونسبها على النحو الآتي:

البحور	عدد تواترها في القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
الطويل	11 مرة	% 28.20
البسيط	10 مرات	% 25.64
المتقارب	3 مرات	% 7.69
الكامل	3 مرات	% 7.69
مجزوء الكامل	3 مرات	% 7.69
الوافر	3 مرات	% 7.69
الرمل	3 مرات	% 7.69
مجزوء البسيط	1 مرة	% 2.56
السريع	1 مرة	% 2.56
الرجز	1 مرة	% 2.56

من خلال الجدول المدون أعلاه نجد أن شعر "المعتمد بن عباد" لم يخرج في شعره عن الأوزان الخليلية، بل تقيد بها في شعره ، إلاّ أنه لم يستخدم البحور الستة عشر كلها في استعطافياته ، وإنما اكتفى بعرض عشرة فقط ، منها البحر الطويل الذي يحتل

[1]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص134.

[2]– فوزي سعد عيسى، العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، دط، 2007م، ص 35.

الصدارة الأولى في شعره بنسبة (28.20 %) ، فهذا البحر « قد نظم منه ما يقر من ثلث الشعر العربي وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره ويتخذونه ميزان لأشعارهم،لاسيما الأغراض الجدية الجليلة الشأن،وهو لكثرة مقاطعه،يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة ، و المناظرة تلك التي عني بها الجاهليون عناية كبيرة »[1]، ويرى "أحمد الشايب"، أن البحر الطويل« يتسع لكثير من المعاني »[2]، ولهذا اختار الشاعر هذا البحر ليكون بحر الأساس و لأنه يتناسب مع الحالة الوجدانية التي يعيشها، وكونه يلائم التعبير عن حالات الحزن والأسى، ومن أمثلة استخدامه للبحر الطويل قصيدته التي مطلعها:

يَقُولـــُون صَبْرًا لاَ سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ سَأَبْكِي وَ أَبْكِي مَا تَطَاوَلَ مِنْ عُمْرِي[3]

0/0// //0/0/0// //0// 0/0/0// //0/0/0// //0// 0/0/0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

فهذه الألفاظ(لا سبيل إلى الصبر، سأبكي، و أبكي) كلها ألفاظ تدل على ألم الشاعر وحسرته على أولاده فاستخدم هذا البحر ليلائم موقفه المؤلم، حيث قام بإسقاط مشاعره وأحاسيسه على هذا البحر الذي يحتاج من الشاعر النفس الطويل لينظم على منواله.

و نلاحظ كذلك من خلال الجدول أن البحر البسيط احتل المرتبة الثانية بعد البحر الطويل بنسبة (25.64 %) ، و قد سمي بالبسيط « لأن الحركات انبسطت في عروضه وضربه »[4]، ومن أمثلة استخدامه لهذا البحر قوله في قصيدة مطلعها:(البسيط)

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالأَعْيَادِ مَسْرُورَا فَجَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا [5]

0/0/ 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/ 0/0/ 0//0/0/ 0//0/ 0//0//

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

[1]– إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العرب ، دار القلم ، بيروت ، دط ، 1965م ، ص210.

[2]– أحمد الشايب ،أصول النقد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر، ط8، دت، ص154.

[3]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 163.

[4]– حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي ، دار صفاء ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2004م ، ص 97.

[5]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 169.

فالقصائد التي نظمها في البحر البسيط كانت وليدة الانفعال النفسي الذي تعرض له المعتمد، فلم يكن بحاجة إلى عرض الكثير من المعاني حيث استخدم البسيط لتحقيق النواحي الإيقاعية.

كما أضاف بحورا أخرى مثل: المتقارب، الكامل، مجزوء الكامل، الوافر، الرمل، فالبحر المتقارب سمي بهذا الاسم : « لتقارب أوتاده بعضها من بعض »[1]، ومن أمثلة استخدامه لهذا البحر قوله:(المتقارب)

هُـمْ أَوْقَـدُوا بَيـْنَ حَنْبَيْكَ نَـارَا أَطَالُوا بِهَا فِي حشَاكَ اسْتِعَارَا[2]

0/0// 0/0// 0/0// 0/0/ 0/0// 0/0// 0/0// 0/0//

فعلن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

فالبحر المتقارب « فيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة، وهو أصلح للعنف والسير السريع »[3]، و بالرجوع إلى هذا البيت من القصيدة قيلت في وصف معركة الزّلاقة التي أعادت الأمل للمسلمين ، فوردت في القصيدة ألفاظ تدل على الحماسة و الحرب، لذا كان البحر هو الأولى بهذه القصيدة من غيره.

أما البحر الكامل فقد « سمي كاملا لاكتمال حركاته »[4]، و يتميز بالجزالة و حسن الإطراد، أي استقامة في القول و المعنى وتتابعا في الكلام بكونه « إيقاع سريع ومتدفق»[5]، وهو أسرع الأوزان لكثرة حركاته، وهذا ما يخفف من وطأة ثقله، ومتدفق يساعد الشاعر في التعبير عن تجاربه المتنوعة ، بإبراز مواقفه وانفعالاته المتعددة ، وفي هذا يقول المعتمد بن عباد و الألم و الحسرة تقتلانه :(الكامل)

---

[1]– حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي، ص 214.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 159.

[3]– أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي، ص 323.

[4]– المرجع نفسه ، ص 118.

[5]– حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية و تطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، مصر، ط1، 1995م ، ص 102.

المُلْكُ لَا يُبْقِى عَلَى أَحَـدٍ وَ المَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدًا[1]

0/// 0//0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ 0//0/0/

متفاعلن متفاعلن فعلن متفاعلن متفاعلن فعلن

و الملاحظ في هذا البيت أن الكلام متتابعا، و مستقيم في اللفظ و المعنى وهذه هب مميزات البحر الكامل، مما جعل الشاعر يختاره في موقفه هذا.

لقد طغت البحور الشعرية التقليدية عند شعر المعتمد، فقد قام بالنظم على أوزانها المتعددة والمختلفة ، لأنه وجد فيها المتنفس لأحاسيسه ومشاعره ، فتخرج في صورة محسوسة معبرة عما في داخله ، من ألم وحزن ، و هكذا كان الوزن العروضي عند المعتمد في خدمة عاطفته الصادقة، و منسجما مع الانفعال النفسي الذي كان الدافع الأساسي لنظم القصائد.

ب_ القافية:

القافية هي «علم يعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعري من حركة وسكون ولوازم و جواز و فصيح و قبيح و نحوها »[2]، وقد اختلف النقاد في وضح مفهوم اصطلاحي لها إلا أن "الخليل بن أحمد الفراهيدي" يعرفها بأنها : « من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن »[3].

و إذا أتينا إلى تتبع قوافي الشعر عند "المعتمد بن عباد" نجد أن أغلب حروف الروي لقصائده و مقطوعاته تسير في كمها ونسبها على النحو الآتي:

حروف الروي	عدد تواترها	النسبة المئوية
النون	8 مرات	% 20 .51
الراء	7 مرات	%17.94

[1]– المرجع نفسه ، ص 148.

[2]– فيصل حسين طهير العلي، الميسر الكافي في العروض والقوافي، مكتبة دار الثقافة، عمان، الأردن ، دط، 1928م، ص 75.

[3]– جورج مارون، علم العروض والقافية، المؤسسة الحديثة للكتاب، دب، دط، 2008م، ص 145.

الميم	5 مرات	%12.82
الدال	4 مرات	% 10.25
العين	3 مرات	%7.69
اللام	2 مرتان	%5.12
الباء	2 مرتان	%5.12
القاف	2 مرتان	%5.12
الفاء	2 مرتان	%5.12
الهمزة	1 مرة	%2.56
الكاف	1 مرة	%2.56
الحاء	1 مرة	%2.56
الياء	1 مرة	%2.56

من خلال هذا الجدول المدون أعلاه يتضح لنا أن الشاعر استعمل ثلاثة عشر حرف روي في أشعاره الاستعطافية، وتعد هذه الحروف: النون، الراء، الميم، الدال، العين، هي المعتمدة عليها في شعره، وهذه الحروف تعتبر من أكثر الحروف تداولا بين الشعراء لما تتمتع به من دقة ووضوح وقدرة على التأثير، ومن أمثلة اختياره لحرف النون كروي يقول مستعطفا والده ومبرزا الشجاعة والبسالة اللّتان كان يتميز بهما:

اقْنَعْ بِحَظِكَ فِي دُنْيَاكِ مَا كَـانَ عِـزُ نَفْسَـكَ إنْ فَـارَقَت أَوْطَانَـا[1]

فصوت النون من الأصوات المجهورة التي كان لها حضور في أشعار المعتمد الاستعطافية الذي بلغ تواتره ثماني مرات بنسبة (51. 20 %)، فصوت النون هو من الأصوات الأنفية المجهورة ، « يحمل دلالة المعاناة والحزن والبكاء والألم والأسى لذلك يدعى بالصوت النواح »[2]، فهذا الصوت يفيض بطاقة نفسية لشاعر ألم به شقاء.

وفي حرف الراء كروي يقول مستعطفا والده المعتضد:(البسيط)

[1]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 192.

[2]– داوود أماني سليمان ، الأسلوبية و الصوفية في شعر الحسين بن منظور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص 85.

كَـمْ يَأْتِي عَبْـدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُ بِهِ عُتْبى، وَ هَاهُو قَدْ نَـادَاكَ يَعْتَـذِرُ؟ [1]

يَعْتَـذِرُ؟[1] صوت الراء تكراري مجهور، يمنح القافية إيقاعا موسيقيا و فيه عذوبة وسهولة وسهولة في النطق،لهذا فقد اختار حرف الراء كروي لأنه يحمل دلالة التودد والوفاء وطلب العفو. وفي حرف الميم كروي يقول الشاعر:(السريع)

قَـيْدِي ! أَمَا تَعْلَمُنـي مُسْلِمـا؟ أَبَيْـتَ أَنْ تُشْفِـقَ أَوْ تَـرْحَمَـا[2]

فصوت الميم صوت مجهور ، يوحي إلى الألم والأنين والمعاناة والحزن والبكاء « فطريقة النطق به تتراوح بين انظمام الشفتين وانفجارهما وكأنه يوحي بعملية الكتمان والبوح»[3]،وهي الصفة الفيزيولوجية لهذا الصوت.

وفي روي الدال يقول في رثاء نفسه :

بَكَى المُبَـارَكُ فِي إِثْرِ ابْن عَبَّادِ بَكَى عَلَى أَشْـر غِـزْلَانٍ وَ آسَـادِ[4]

إن حرف الدال كروي يعبر عن رغبة الشاعر في إضهار القوة و الصلابة ، بالإضافة إلى التخويف والتذكير، وهذا ما نجد الشاعر قد عبّر عليه في هذه الأبيات.

أما اختيار العين كحرف روي فيقول: (مجزوء الكامل)

لَمَّا تَمَاسَكَتِ الدُمُوعُ وَتَنَبَهَ القَلْبُ الصَّدِيعُ [5]

و هو صوت مجهور يلائم غرض الفخر والقوة و عدم الاستسلام و نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات يفخر بنفسه ويرى أن عدم الاستسلام من شيم الرجال.

وحروف القافية خمسة و الروي سادسها :

---

[1]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 102.

[2]– المصدر السابق ، ص 181.

[3]– عبده بدوي، دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمية ، دار قباء ، مصر، دط، 2000م، ص 72.

[4]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 161.

[5]– المصدر نفسه ، ص 150.

_ **الوصل:** و هو « اتصال حركة الروي بإشباع حركته القصيرة إلى صوت طويل يجانس الحركة، و حروفه أربعة هي: الألف والواو والياء والهاء » [1]، ونجده في قول الشاعر:(البسيط)

في الله مِنْ كُلِ مَفْقُودِ مَضَى عَوَضَ فَاشْعُرْ القَلْبَ سِلْوَانَا وَ إيمَانَا[2]

فالألف في هذا البيت التي جاءت بعد حرف الروي(النون) تعد وصلا، وهو حرف مد ولين تمّ بها تمديد الصوت، ويقع الوصل بعد الروي المتحرك لا الساكن.

_ **الخروج:** سمي خروجا،« لأنه يبرز فيتجاوز الوصل الذي يتبع الروي، وهو حرف ينشأ عن إشباعٍ لحركة هاء الوصل و قد يكون ألفا أو واوا أو ياءً »[3]، لكن هذا الحرف لم يستخدمه الشاعر في أشعاره الاستعطافية .

_ **الردف:** وهو « ألف أو واو أو ياء سواكن قبل الروي » [4]، ونلمح هذا الحرف في قول الشاعر:(مجزوء البسيط)

فَلَوْلَا الضُلُوعُ عَلَيْهِ لَطَارَا فَلَوْلَا الضُلُوعُ عَلَيْهِ لَطَارَا [5]

في هذا البيت حرف الروي هو الراء والألف التي قبله هي الردف، وهو حرف لين يسبق الروي، ويكون لازما في سائر أبيات القصيدة إذا كان ألفا.

_ **التأسيس و الدّخيل:** أما الأول فهو: « ألف ساكنة قبل الروي بحرف متحرك، وهذا الحرف لازم بين التأسيس و الروي »[6]، و الدّخيل هو : «حرف يدخل بين حرف التأسيس التأسيس وحرف الروي، ويكون متحركا دائما»[7] ، ونجدهما في قول الشاعر : (الكامل)

---

[1]– ينظر: حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي، ص 233.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 192.

[3]– ينظر: حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي، ص 234

[4]– المرجع نفسه ، ص 235.

[5]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 159.

[6]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهر و هلال ناجي، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1416هـ/ 1996م، ص 275.

[7]– ينظر: حميد آدم الثويني، علم العروض والقوافي، ص 235.

وَالبَدْرُ يَطْلَعُ نَاقِصًا حَتَى يُتَمِمَ مِنْ كَمَالِكَ [1]

فحرف الروي في هذا البيت هو الكاف واللام التي قبله هي الدخيل_متحرك_ والألف التي قبل اللام هي التأسيس، و لا يشترط في الدخيل التزام حرف بعينه على عكس التأسيس الذي يشترط فيه ذلك.

و تنقسم القافية باعتبار عدد الحروف التي تفصل ساكنيها إلى خمسة أقسام :

_ القافية المترادفة:

وهي القافية التي « اجتمع في آخرها حرفان ساكنان [2]» ونجدها في قول الشاعر:

الشاعر:

فَبِبَأْسِهِ يُشْقِي العِدَى، وَبِحُسْنِهِ يُصْبِي الحِـ ـ سَانْ[3]

الحِـ سَانْ[3]

00

في هذا البيت لا يوجد حرف متحرك بين الساكنين، هذه هي القافية المترادفة.

_القافية المتواترة:

و هي القافية التي « وقع فيها حرف متحرك بين ساكنين »[4]، ونجد هذا النوع من القوافي، قول الشاعر:

مَوْلَايَ أَشْكُو إِلَيْكَ دَاءً أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَـ ـرِيحَا[5]

0/0

لقد فصل الشاعر في قافية هذا البيت بحرف واحد متحرك بين ساكنيها وهو: (الحاء)

---

[1]– المعتمد بن عباد، ديوان، ص 94.

[2]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص 265.

[3]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 94.

[4]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص 264.

[5]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 96.

_ القافية المتداركة:

وهي القافية التي « توالت فيها حركتان بين ساكنين »[1] ، ونلمسها في قول الشاعر:

وَ الغَيْثُ يَحْيَا أَنْ يَصُو ب لِمَا يَرَاهُ مِنْ نَ ـ وَالِكَ[2]

0//0

فصل الشاعر بين ساكني القافية بحرفين متحركين هما (اللام و الكاف).

_ القافية المتراكبة:

و هي القافية التي « توالت فيها ثلاث حركات بين ساكنين »[3]، ونلمحها في قول الشاعر:

كَمْ وَقْعَةً لِي فِي الأعْدَاءِ وَاضِحَةً تَفْنَى اللَّيَالِي وَمَا يَفْنَى لَهَا الخَبَرُ[4]

0///0

في هذا البيت الشعري فصل الشاعر في هذه القافية ثلاثة حروف بين ساكنين وهي (الخاء و الباء و الراء).

_ القافية المتكاوسة:

---

[1]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص 264.

[2]– المعتمد بن عباد، الديوان، ص 94.

[3]– أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص 264.

[4]– المعتمد بن عباد، الديوان ، ص 103.

و المتمعن في شعر "المعتمد بن عباد" يلحظ أن الشاعر القوافي التي تتكون من أصوات معينة تكرر بانتظام في أواخر الأبيات مشكلة بذلك إيقاعا خاصا ومميزا لكل قصيدة أو مقطوعة، ولم يخرج في موسيقاه الخارجية عن الأوزان الشعرية التي استقراها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" ، فكل من الوزن والقافية يشكلان الموسيقى الخارجية للقصيدة في شعر "المعتمد بن عباد".

خاتمة

خـــاتـــمـــة

الاستعطاف فن شعري أصيل يرتبط بالحياة ، فهو من الفنون التي تعنى بتصوير جوانب من الحياة ، ويكشف عن الكثير من الحقائق التي يغلفها التاريخ، ولما كان لا بد لكل بحث من نهاية ، فلا بد أن أنهي بحثي هذا و أن أقف وقفة سريعة مستعرضة أهم النتائج التي توصلت إليها، والتي أوجزها في النقاط الآتية:

_ الاستعطاف فن شعري أصيل يرتبط بالحياة، فهو من الفنون التي تعنى بتصوير جوانب من الحياة، وهكذا فقد صور لنا جانب من حياة المعتمد بن عباد وما دعاه إلى اللجوء إلى هذا الفن.

_ أن المعتمد بن عباد ينتمي إلى الأسرة العبادية التي ينتمي نسبها إلى قبيلة لخم بن جذام العربية ، والتي كان منها ملوك الحيرة وعلى رأسهم المنذر بن ماء السماء، وقد بدأت الأسرة العبادية بالظهور على مسرح الأحداث في الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري لتؤسس بعد ذلك المملكة العبادية التي صارت أقوى مماليك الأندلس في عصر ملوك الطوائف .

_ كان المعتمد من أسرة كل أفرادها شعراء ، ينظم الشعر في موضوعات يغلب عليها الترف والعبث واللهو فكان شعره صورة لحياته المترفة ، أما بعد الأسر فيبدأ بالظهور شعر يتسم بطابع المعاناة على نحو مغاير كل المغايرة لشعر الترف، فلم يكن الفرق بين شعره قبل الأسر ، وبين شعره فيه بأقل من الفرق بين الملك المتربع على سرير أقوى مملكة في حينها، وبين أسير ذليل لا حول له و لا قوة .

_ شهد عصر ملوك الطوائف ازديادا ملحوظا في الأشعار الاستعطافية, وكانت أغلب الأشعار الاستعطافية موجهة للحاكم أو الوالد وكان شاعرنا المعتمد بن عباد من بين الذين نظموا في هذا النوع من الشعر –استعطاف الحاكم والوالد– وكان استعطافه لوالده يتم تصريحا دون الاستعانة بوسيط أو شفيع ، أما استعطافه للحاكم –أمير

المرابطين يوسف بن تاشفين– فكان يتم عن طريق التلميح دون التصريح وهذا يعود إلى هيبة ومكانة الشاعر قبل الهزيمة .

– قلما نجد مقطوعة أو قصيدة اقتصرت على الاستعطاف وحده ، فقد لجأ الشاعر إلى الجمع بين غرضين أو أكثر في القصيدة الواحدة ليساعده ذلك المزج بين الأغراض الشعرية إلى الحصول على العطف الذي ينشده.

_ لغة الشاعر واضحة ، بسيطة ، معبرة عن مشاعر "المعتمد بن عباد"، بدون تكلف وصنعة ، ويعد "المعتمد" من أكثر الشعراء المتأثرين بالقرآن الكريم والمؤمنين بالقضاء والقدر ، كما كان أسلوبه سلسا إذ كان للأسماء فيه حضور كبير على حساب الأفعال، وهذا راجع إلى ثبوت الحزن الذي كان يعيشه وليكسب شعره نوعا من المصداقية والواقعية ، والسمة الثانية التي تميز بها أسلوب الشاعر هي ظاهرة التكرار التي ركز عليها "المعتمد" ليقوي المعنى ويؤكده ويثبته في ذهن السامع .

_ ظهرت جمالية عند المعتمد من خلال التركيز على الصورة الفنية والمحسنات البديعية، واستخدام الموسيقى الشعرية الحزينة، ناهيك عن التوافق و الانسجام في تناول الموضوعات والحديث عن الأشجان.

و في الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت في ما توصلت إليه من نتائج وفي إعطاء هذا البحث ما يستحق من عناء وجهد وأن أكون إلى الصواب أقرب، و عن الخطأ أبعد.

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم برواية حفص**

أولا: المصادر

1_ابن الأثير ضياء الدين نصر الله، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، دط، 1939م ،ج1.

2_ ابن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1.

3_ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة القسم الثاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،دط، 1417هـ/1997م، المجلد الأول.

4_ جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط ، دت،ج1.

5_ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، دب، دط، دت، ج2.

6_ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط 2، 1429هـ/ 2008م، المجلد الثاني.

7_ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان و البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

8_ الخطيب التبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تعليق: محمد أحمد قاسم ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1425هـ/ 2004م.

9_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1، 1424هـ/ 2003م، المجلد الثالث.

10_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م، ج2.

11_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج1.

12_ ابن زيدون،الديوان، شرح وتحقيق: حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط ، دت.

13- أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،, دار صادر، بيروت، لبنان، دط ، دت، المجلد الخامس.

14_ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط3، 2001م.

15_ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد غرب، دار الفرحاني، دب، دط، دت .

16_ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1، 1419هـ/ 1998م، ج1.

17_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت, لبنان، ط1، 1997م، المجلد الرابع، مادة عطف.

18_ فيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ، ط 5، 1416هـ/ 1996م.

19_ ابن اللبانة الداني، الديوان، جمع و تحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية، عمان، الأردن، ط2، 1429هـ/ 2008م، ، ص 36.

20_ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المكتبة المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1394هـ/ 1994م، المجلد الثاني.

21_ مصطفى الغديري ، شعر محمد بن عمار الأندلسي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة ، المغرب، دط ، 2001م.

22_ المعتمد بن عباد، الديوان، جمع و تحقيق: رضا الجيب السويس، الدار التونسية للنشر، تونس، دط ، 1975م.

23_ أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، مطبعة دار الكتاب العالمية، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

ثانيا: المراجع

1_ إبراهيم أبو خشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، دط، دت.

2_ إبراهيم الربيعي وآخرون، المقتضب في علوم اللغة العربية، نحو وصوف ، بلاغة، عروض، الرضا للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 1994م.

3_ أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1425هـ/ 2005م، ج1.

4_ أحمد أبو حاقة، فن المديح و تطوره في الشعر العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1962م.

5_ أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة ، مصر، ط25، دت.

6_ أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب،دب، ط2، 1967م.

7_ أحمد الشّايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 8، دت.

8_ أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس ، دار المعارف، سوسة، تونس، ط 2، 1998م.

9_ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 14، دت.

10_ إيميل بديع يعقوب، موسوعة الأدب و الأدباء العرب في روائعهم، العصر العباسي (2)، دار نوبليس، بيروت ، لبنان، ط1، 2006م، ج10.

11_ بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، دب، دط، دت.

12_ بوعلام بن حمودة، مكشفات الأسماء، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2002م.

13_ داوود أماني سليمان ، الأسلوبية و الصوفية في شعر الحسين بن منظور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2002م.

14- أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي، الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهر و هلال ناجي، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 1416هـ/ 1996م.

15_ حسن علي الحسين الدخيلي، دراسات نقدية لظواهر في الشعر العربي، دار حامد ، عمان، الأردن،دط، دت.

16_ حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر، ط1، 1995م.

17_ حكمت بشير الأسود، أدب الرثاء في بلاد الرافدين، دار الزمان، دمشق، سوريا ، ط1، 2008م.

18_ حمدان حجاجي، محاضرات في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، منشورات زرياب، الجزائر،دط، 1993م.

19_ حميد آدم ثويني، فن الأسلوب، دراسة تطبيق عبر العصور، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

20_ حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، دط، دت.

21_ حنّا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 3، 1424هـ/ 2003م، المجلد الثالث.

22_ شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، دط، دت.

23_ الطاهر أحمد مكى، دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3،

1987 م.

24_ أبو عباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء،دب، دط، 1954م، ج1.

25_ عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان, ط1، 1999م.

26_عبده بدوي، دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمية ، دار قباء ، مصر، دط، 2000م.

27_ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1976م.

28_ عبد الله حمادي، أندلسيات، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، دط ، 2004م.

29_ ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، ابن خلدون، دط ، 2004م.

30_ عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، نقد وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، دب، دط، 1421هـ/ 2000م.

31_ عصام محمد شباروا، الأندلس من الفتح العرب المرصود إلى الفردوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1،1423هـ/ 2002م.

32_ عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في المغرب والأندلس ، دار العلم للملايين،دب، ط2، 1984م، ج4.

33_ عيسى خليل محسن، أمراء الشعر الأندلسي، دار جرير، عمان، الأردن ، ط 1، 1428هـ، 2007م.

34_ فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، الرباط، ط1، 1993م.

35_ فهد خليل الزايد، البلاغة بين البيان و البديع، دار يافا العلمية ، عمان، الأردن، ط1،2009م.

36_ فوزي سعد عيسى، العروض العربي و محاولات التطور والتجديد فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، دط ، 2007م.

37_ فوزى عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط 1، 2007م.

38_ فيصل حسين طهير العلي، الميسر الكافي في العروض والقوافي، مكتبة دار الثقافة، عمان، الأردن،دط، 1928م.

39_محمد علي زكي صبآّغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، ط1، 1998م.

40_ محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشأة المعارف ، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

41_ محمد شهاب العاني، أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح و حتى سقوط الخلافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2002م.

42_ محمد شهاب العاني، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

43_ محمد مصطفى أبو شوارب، جماليات النص الشعري " قراءة في أمالي القالي"، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2005م.

44- محمد نصر الدوكالي، جامع الدروس العروضية والقافية , منشورات ELGA فاليتا، مالطا، دط، 2001م.

45_ مصطفى الشكحة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5،1983م.

46_ مقداد رحيم، رثاء النفس في الشعر الأندلسي، جهينة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

47_ المنجد الأبجدي، المؤسسة الوطنية، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط8، 1967م.

الرسائل الجامعية:

1_ فاطمة دخية: بنية الخطاب الاستنجادي في الشعر الجزائري القديم، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم ، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 1427-1428هـ/ 2006-2007م، (مخطوط).

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ -ت
الفصل الأول: المصطلح و السيرة	
أولا: مفهوم الاستعطاف	
1- لغة	5
2- اصطلاحا	7
ثانيا: التعريف بالمعتمد بن عباد	
1- مرحلة الطفولة والشباب	9
2- مرحلة الإمارة	13
3- مرحلة المنفى	18
ثالثا: الأغراض الشعرية عند المعتمد قبل المنفى و بعده	
1- شعره قبل المنفى	20
2- شعره بعد المنفى	22
الفصل الثاني: تجليات الاستعطاف في شعر المعتمد ومزجه بالأغراض الشعرية الأخرى	
أولا : تجليات الاستعطاف في شعر المعتمد عباد	
1- استعطافه لوالده	29
2- استعطافه لابن تاشفين	33
ثانيا: مزج الاستعطاف بالأغراض الشعرية الأخرى	
1-المدح	36
2- الفخر	37
3- الهجاء	39
4- الوصف	40
5- الرثاء	41
الفصل الثالث: الدراسة الفنية	

أولا: اللغة و الأسلوب	
1 -اللغة	44
2_ الأسلوب	48
ثانيا: الصورة الشعرية	
1- الصورة البيانية	53
2-الصورة البديعية:	56
ثالثا: الموسيقى الشعرية	
1- الموسيقى الداخلية	60
2- الموسيقى الخارجية	69
خاتمة	75
قائمة المصادر والمراجع	78
فهرس الموضوعات	87